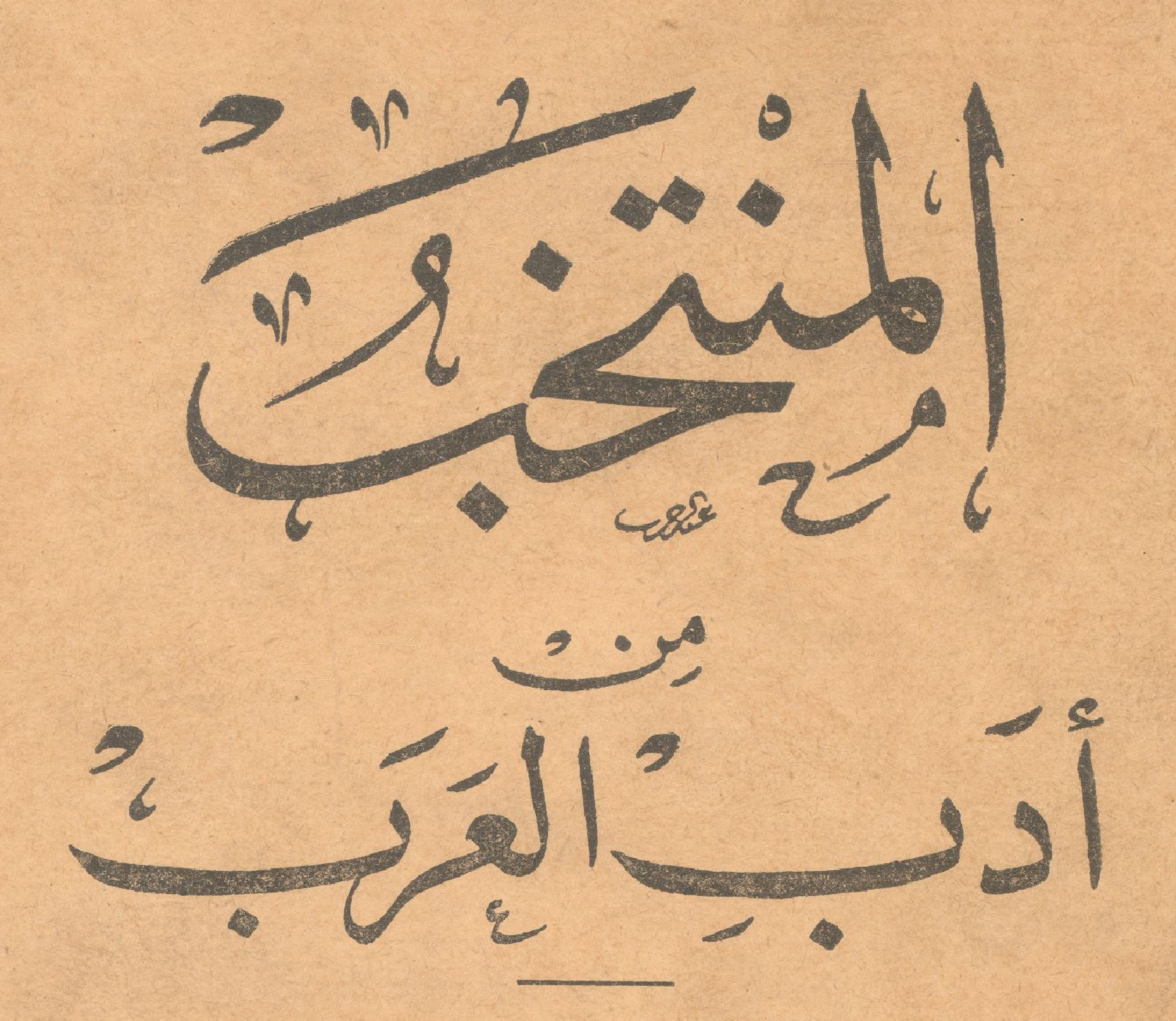
وزارة المعارف العمومية



جمعه وشرحه

أحمد الاسكندرى — أحمد أمين — على الجارم بك

عبد العزيز البشرى — أحمد ضيف

الجزء الأول

للسنة الأولى الثانوية

القاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية
١٩٣٨

وزارة المعارف العمومية

المنتخب

من

أدب العرب

جمعه وشرحه

أحمد الاسكندرى　　أحمد أمين　　على الجارم بك

عبد العزيز البشرى　　أحمد ضيف

الجزء الأول

للسنة الأولى الثانوية

القاهرة

مطبعة دار الكتب المصرية

١٩٣٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ، وصلى اللهُ تعالى وسلَّم على سيدنا محمدٍ خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد، فقد عَدَّلت وزارة المعارف مناهجَ الأدبِ العربىّ ، كما أخذتْ غيرَها بفنون التعديل . وكان تاريخُ الأدبِ يُدرس فى المدارسِ الثانويةِ مبتدئًا من حيثُ يبتدئ الأدب ، ويظَلّ مسترسلا إلى هذا العصرِ الذى نعيش فيه . فاجتمع رأيُها على أن يبدأَ تدريسه فى هذه المدارسِ من هذا العصرِ لأن أدبه هو الحاضرُ لهم ، المُلَابِسُ لحسّهم ، المترجمُ عما يُحيط بهم . فاذا انتهَوْا منه ، ترقَّوْا إلى العصر الذى فوقَه ، فإنه أدنى إليهم ، وأَحْضَرُ مِنْ سواهُ لهم . وهكذا . وكذلك وضعنا كتابَ : " تاريخ الأدبِ العربىِّ " ، وعلى هذا النحوِ حرَّرناه .

ولقد دعا ذلك ، بالضرورة ، إلى تغييرِ الوضع فيما كنا قد اخترناه من النصوص الأدبيةِ فى كتابِ : " المنتخب من أدب العرب " وخاصةً بعد إذْ فُرض تاريخُ الأدب ، فى هذه المناهج الجديدة ، على طُلَّاب السنتين : الأولى ، والثانية . ولم يكن لهما فيه حظٌّ كبير ولا صغير .

وقد أخرجنا هذا المنتخبَ الجديدَ فى أربعةِ أجزاء ، لكلِّ سنةٍ من سِنِى التعليم الثانوىِّ جزءٌ مقسوم .

وقد حَرَصْنَا أشدَّ الحرص ، فى هذا الكتابِ أيضًا ، على أمرَيْن نرى أن لهما خطرًا عظيما :

(الأول) أن تكون النصوص التي نختارها لكلّ عصرٍ من عصورِ الأدبِ العربيِّ مرآةً صافية ، وصورةً صادقةً واضحةً للحياةِ الأدبيةِ في هذا العصر ، على اختلافِ فروعها ، وافتراقِ نزعاتِ الشعراءِ والكُتّابِ والأدباءِ فيها ؛ بحيث يستطيع المعلِّمُ أن يعتمدَ عليه في تصوير ما يدرِّس للتعلمين من تاريخ الأدب ، ويستطيع المتعلمون أن يجدوا فيه تَصْدَاقَ ما يسمعون من الأساتذة ، ويقرءون من الكتب من حقائقِ هذا التاريخ .

(الثاني) أن يكونَ ما اخترناه ، على صحةِ تمثيلهِ للعصورِ الأدبية ، وصدقِ تصويره لشخصيّاتِ الأدباء ، ومذاهبهم في الأدب ، في جملته جميلا رائقًا ، وجَزْلا رائعا ، خفيفَ الموقعِ من الأسماع ، لطيفَ المسلك إلى النفوس ، يستطيع أن يبعثَ في قلوبِ الشبابِ حبَّ لغتهم وأدبِها ، ويرغّبَهم في الِاسْتِزَادَةِ منهما ، والتفقُّهِ فيهما : وتوخَّيْنَا ، إلى ذلك كلِّه ، أَنْ يكونَ جُلُّ ما اخترناه من الشعر والنثر سهلًا يسيرًا ، يلائم حالةَ الشبابِ وطاقتَهم .

على أننا ، فوقَ هذا ، ضبطنا الجزء الأوّلَ بالشكل الكاملِ ، توسُّلا إلى أَخْذِ المبتدئينَ بالمنطق الصحيح لجديدِ عليهم من فُصَحِ العربية ، كما تحرَّيْنا شرحَ كلِّ ما يَغْرُبُ عليهم من مفردات اللغة ، حتى لا تختلطَ المعاني على أذهانهم . على أنه كلما علت بهم السنون ، تَخَفَّفْنا من هذا وهذا بقَدر ، طوعًا لسنّة التدريج .

ونحن نرجو أن نكونَ قد وُفِّقنا من ذلك إلى ما قصدناه ، والله وحدَه وليُّ التوفيق م

عصر النهضة الحديثة

(ا) النثر

١ — الشيخ عبد الرحمن الجبرتى[1]

قال فى كتابه " عجائب الاثار ، فى التراجم والأخبار " عند الكلام على الحملة الفرنسية سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف :

وهى أوَّلُ سِنِي المَلَاحِمِ[2] العظيمة ، والحَوَادِثِ الجَسِيمة[3] ، والوقائع النَّازِلة ، والنوازل الهائلة ، وتَضَاعُفِ الشرور ، وترادُفِ[4] الأمور ، وتوالى المِحَن ، واختلالِ الزَّمن ، وانْعِكَاسِ المطْبُوع ، وانْقِلَابِ الموضوع ، وتَتَابُعِ الأهْوَال ، واخْتِلَافِ الأحْوال ، وفَسادِ التَّدبير ، وحصُولِ التَّدْمير ، وعُمُومِ الخرَاب ، وتَوَاتُرِ[5] الأسْباب : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ .

فى يوم الأحدِ العاشِرِ من شهر محرَّم الحرَام من هذه السنة ، و ردت مكاتَبَاتٌ على يد السُّعَاةِ من ثَغْرِ الإسْكَنْدَرِيَّة ، ومضمونُها أن فى يومِ الخميس ثامِنِه حَضَرَ

(١) هو مؤرخ مصرى ، ولد بمصر وتعلم بالأزهر . ونسبته الى جبرت وهى الزيلع فى بلاد الحبشة . عينه نابليون حين احتلاله مصر كاتبا فى الديوان . وكان مفتى الحنفية فى عهد محمد على باشا ؛ وأشهر مؤلفاته التاريخ المعروف باسمه ، قيد فيه حوادث مصر من سنة ١١٠٠ ه الى سنة ١٢٣٦ ه . وقد مات سنة ١٢٤٠ ه بعد أن كف بصره من كثرة البكاء على ابن له قتل .

(٢) الملاحم : جمع ملحمة ، وهى الحرب العظيمة .

(٣) الجسيمة : العظيمة .

(٤) ترادف : تتابع .

(٥) تواتر : توالى .

الَى الثَّغْرِ عِدَّةُ مَرَاكِبَ من مَرَاكِبِ الإنجليز ، وَوَقَفَتْ عَلَى الْبُعْدِ بِحَيْثُ يَرَاهَا أَهْلُ الثَّغْرِ ، وبَعْدَ قَلِيلٍ حَضَرَ خَمْسَةَ عَشَرَ مَرْكَباً أَيْضًا ، فَانْتَظَرَ أَهْلُ الثَّغْرِ ما يُرِيدُون ، وإذا بِقَابِقٍ صغيرٍ واصِلٍ من عِندِهم وفيه عَشَرَةُ أَنْفَار ، فوصَلُوا البَرَّ واجتمعوا بكِبَارِ البلَد ، والرئيسُ إذْ ذَاكَ فِيهاَ والمشارُ إليه بالإبْرَامِ والنَّقْضِ ، السيد محمد كريم الاتى ذِكْرُه ، فَكَلَّمُوهُمْ واستخبرُوهُمْ عن غَرَضِهِمْ ، فأخبروا أنهم إنكليز ، حَضَرُوا للتفتيش عَلَى الفَرَنْسِيسِ لأنهم خرجوا بِعِمَارَةٍ (١) عَظِيمة ، يُرِيدُونَ جِهَةً مِنَ الجِهَات ، ولا ندرى أَيْنَ قَصْدُهُمْ ، فربما دَهَمُوكُمْ ، فلا تَقْدِرون على دَفْعِهِمْ ، ولا تمكنوا (٢) من مَنْعِهِم ، فلم يَقْبَلِ السيدُ محمد كريم منهمْ هذا القول ، وظن أنها مَكِيدَة ، وجاوبُوهُمْ بكلام خَشِن ! فقالت رُسُلُ الإنكليز : نحن نقفُ بمراكِبنَا فى البحر ، محافِظِينَ عَلَى الثَّغْر ، لَا نحتَاجُ منكم إلا الإمْدَادَ بالمَاءِ وَالزَّادِ بثَمَنِه ، فلم يجيبوهم لذلكَ ، وقالوا : هذه بلادُ السُّلطَان ، وليس للفرَنْسِيسِ ولا غَيْرِهِم عليها سَبِيل ، فاذهبُوا عنَّا ، فعندها عادت رُسُلُ الإنكليز ، وَأَقْلَعُوا فى البَحْرِ ، لِيَمْتَارُوا (٣) من غَيْرِ الإسكَنْدَرِيَّة ، ولِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كانَ مَفْعُولاً ، ثم إنَّ أَهْلَ الثَّغْرِ أَرْسَلُوا إِلَى كاشِفِ البُحَيْرَةِ لِيَجْمَعَ العُرْبَان ، ويأتِيَ مَعَهُمْ للمحافَظَةِ بالثَّغْر — فلما قُرِئَتْ هذه المكاتَبات بمِصْرَ حَصَلَ بِهَا اللَّغَطُ الكثيرُ من النَّاس ، وتحدثوا بذلك فيما بَيْنَهُمْ ، وكَثُرَتِ المقَالَاتُ (٤) وَالأَرَاجِيف (٥) .

---

(١) يريد أسطولا .
(٢) هكذا فى الأصل ، والصواب : ولا تمكنون .
(٣) ليجلبوا الميرة ، وهى الزاد .
(٤) المقالات : الأقوال .
(٥) الأراجيف : الأقوال تقال على جهة التخيل والظن أو الكذب والادعاء .

٢ – من كتاب للشيخ حسن العطار (١)

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَحْسَنَ وَشْيٍ (٢) رَقَمَتْهُ (٣) الأَقْلَامُ، وَأَبْهَى زَهْرٍ تَفَتَّحَتْ عَنْهُ الأَكْمَامُ (٤)، عَاطِرُ سَلَامٍ يَفُوحُ بِعَبِيرِ (٥) المَحَبَّةِ نَفْحُهُ (٦)، وَيُشْرِقُ فِي سَمَاءِ الطُّرُوسِ (٧) صُبْحُهُ .

سَلَامٌ كَزَهْرِ الرَّوْضِ أَوْ نَفْحَةِ الصَّبَا * أَوِ الرَّاحِ تُجْلَى فِي يَدِ الرَّشَإِ الأَلْمَى (٨)

سَلَامٌ عَاطِرُ الأَرْدَانِ (٩)، تَحْمِلُهُ الصَّبَا سَارِيَةً عَلَى الرَّنْدِ (١٠) وَالبَانِ (١١)، إِلَى مَقَامِ حَضْرَةِ المُخْلِصِ الوِدَادِ، الَّذِي هُوَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ العَيْنِ وَالفُؤَادِ، صَاحِبِ الأَخْلَاقِ الحَمِيدَةِ، حِلْيَةِ الزَّمَانِ الَّذِي حَلَّى بِهَا مِعْصَمَهُ وَجِيدَهُ .

٣ – رفاعة بك رافع الطهطاوى (١٢)

من كلام له فى حُبّ الوطن :

إِنَّ حُبَّ الوَطَنِ مِنَ الإِيمَانِ، وَمِنْ طَبْعِ الأَحْرَارِ إِحْرَازُ الحَنِينِ إِلَى الأَوْطَانِ . وَمَوْلِدُ الإِنْسَانِ عَلَى الدَّوَامِ مَحْبُوبٌ، وَمَنْشَؤُهُ مَأْلُوفٌ لَهُ وَمَرْغُوبٌ . وَلِأَرْضِكَ

(١) هو الشيخ الأكبر حسن بن محمد العطار . كان من علماء الأزهر، وزار أهم الممالك الاسلامية، وصار بعد محررا للوقائع المصرية أوّل ظهورها، ثم صار شيخا للأزهر الشريف وكان، على علمه، شاعرا كاتبا بليغا، توفى سنة ١٢٥٠ هـ . (٢) الوشى : المحسن بالألوان . يريد به هنا : زخرفة الكلام . (٣) رقمته : خططته . (٤) الأكمام : جمع كم بكسر الكاف وتشديد الميم، وهو غلاف الزهرة التى تنشق منه . (٥) العبير : أخلاط من الطيب . (٦) نفحه : رائحته . (٧) الطروس : الأوراق واحدها طرس بكسر الطاء . (٨) الراح : الخمر . تجلى : بالبناء للمجهول تكشف وتدار مشرقة . الرشأ : ولد الظبية . والألمى : المسود الشفة، وهذه الصفة من مظاهر الحسن عند العرب . (٩) الأردان : جمع ردن بضم الراء، وهو طرف الكم . (١٠) الرند : نبات طيب الرائحة . (١١) البان : شجر معتدل القوام يستخرج من حبه دهن طيب .

(١٢) ولد بطهطا، مدينة بمديرية جرجا، وربى بالأزهر وفرنسة، وشغل مناصب تعليمية وسواها وألف عدّة كتب . وهو على الجملة من أوّل بناة النهضة الحديثة فى العلم والأدب . وتوفى سنة ١٢٩٠ هـ .

حُرْمَةَ وَطَنِهَا، كَمَا لِوَالِدَتِكَ حَقُّ لَبَنِهَا . وَالْكَرِيمُ لَا يَجْفُو أَرْضًا بِهَا قَوَابِلُهُ[(١)] ، وَلَا يَنْسَى دَارًا فِيهَا قَبَائِلُه . فَإِنِّي وَ إِنْ أَلْبَسَتْنِي الْمَحْرُوسَةُ نِعَمًا، وَرَفَعَتْ لِي بَيْنَ أَمْثَالِي عَلَمًا[(٢)] . وَكَانَتْ أُمَّ الْوَطَنِ الْعَامِّ ، وَوَلِيَّةَ الْآلَاءِ وَالْإِنْعَامِ . وَأَحِبُّهَا حُبًّا جَمًّا ، لِأَنَّهَا وَلِيَّةُ النُّعْمَى . وَقَضَيْتُ فِيهَا الْأَرْبَعِينَ مُجَاوِرًا « كِرَامَ السَّجَايَا وَالْبُحُورَ الطَّوَامِيَا » . فَلَا زِلْتُ أَتَشَوَّقُ إِلَى وَطَنِي الْخُصُوصِيِّ وَأَتَشَوَّفُ[(٣)] ، وَأَتَطَلَّعُ إِلَى أَخْبَارِهِ السَّارَّةِ وَأَتَعَرَّفُ . وَلَا أُسَاوِي بِطَهْطَا الْخِصْبَةِ سِوَاهَا، فِي الْقِيَامِ بِالْحُقُوقِ وَ إِكْرَامِ مَثْوَاهَا .

مَنَازِلُ لَسْتُ أَهْوَى غَيْرَهَا سُقِيَتْ * حَيًا يَعُمُّ، وَخُصَّتْ بِالتَّحِيَّاتِ[(٤)]

وَأَمْنَحُهَا زَمَنًا بَعْدَ زَمَنٍ الزِّيَارَةَ ، وَأُجَدِّدُ فِيهَا مِنْ هِبَاتِ الْحُكُومَةِ الْعِمَارَةَ . وَأَبْذُلُ فِي مَحَبَّتِهَا النَّفِيسَ لِتَحْصِيلِ الْأَرَاضِي لِلزَّرْعِ وَالْغَرْسِ، وَأَفْتَخِرُ بِهَا كَمَا افْتَخَرَ عِصَامٌ بِالنَّفْسِ[(٥)] ، وَأُنْشِدُ قَوْلَ الْحَافِظِ كَمَالِ الدِّينِ الْأَدْفُوِيِّ :

أَحِنُّ إِلَى أَرْضِ الصَّعِيدِ وَأَهْلِهِ * وَيَزْدَادُ وَجْدِي حِينَ تَبْدُو قِبَابُهَا

وَتَذْكُرُهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ مُهْجَتِي * فَتَجْرِي دُمُوعًا إِذْ يَزِيدُ الْتِهَابُهَا

لعبد الله باشا فكرى[(٦)]

سَلَامٌ يُعَبِّرُ عَنِ الْوِدَادِ طِيبُ عَبِيرِهِ[(٧)] ، وَيُخْبِرُ عَنْ إِخْلَاصِ الْفُؤَادِ لُطْفُ تَعْبِيرِهِ ،

(١) القوابل : جمع قابلة ، وهى التى تتلق الولد عند ولادته . (٢) العلم بفتحتين : الراية ، يريد أنها أعظمت شأنه وأكرمت محله . (٣) تشوف إلى الشيء : تطلع إليه فى شغف . (٤) الحيا : المطر ، يدعو لها بالخصب والرخاء . (٥) يشير إلى قول الشاعر :

نفس عصام سوّدت عصاما * وعلمته الكر والإقداما

* وصيرته ملكا هماما *

(٦) انظر ترجمته فى الشعر . (٧) عبير الزهر : رائحته الطيبة .

وثناءٌ على محاسنِ تلكَ الشّمائل[1]، أرقُّ مِنْ نَسَماتِ الشمائل[2]، وتحيةٌ بهيةٌ تُباهي الخمائل[3] بنفحاتِ أَوْرَادِها[4]، وأدعيةٌ مَرْضيةٌ جعلتْها الألسنةُ خيرَ أَوْرَادِها[5]، وسؤالٌ عن المزاجِ الزّاهر، وصحةِ الخاطرِ الباهر . لازِلْتُم محلّ نعمةٍ يتّصلُ على مدى الأيامِ بقاؤُها، ويزيدُ على مَرِّ الشُّهُورِ والأَعْوَامِ بهاؤُها، ولا برحتْ ثغورُ الإقبالِ إليكُمْ بواسم، ورياحُ الامالِ لديكُم نواسم[6] .

وبعدُ، فإنَّ بي منَ الأَشْوَاقِ، ما تضعفُ عن حَمْلِهِ إلى حِماكُمُ الأَوْرَاقُ، ومِنَ التأسّفِ علَى ما حُرِمْتُهُ مِن لُقْياكُمْ، والتلهّفِ إلى مُطالعةِ أنوارِ مُحيّاكُم، ما يقصُرُ عنْ وَصْفِهِ لِسَانُ اليَرَاعَةِ[7]، ويَقْصرُ دونَ وصْفِهِ بيانُ البَرَاعَةِ، ويَضيقُ عنهُ نطاقُ العِبَارَةِ، ولا ينفسحُ لَهُ ميدانُ الإشَارَةِ .

ومن كتاب له أيضًا إلى بعضِ أصحابه :

كَتَبْتُ والذهنُ فاتر[8]، مِنْ وَهْنِ الدّفاتر، والتبييضِ والتسويد، والتقييدِ والتسديد، والترجمةِ وكثرتِها، والهمّةِ وفترتِها، والماهيةِ[9] وقلّتِها والنفسِ وذلّتِها، ورَاتِبي لا يَكْفِي أُجْرَةَ البَيْت، ولا يَفِي ثَمَنَ الماءِ والزّيت، وبالأمسِ وعدَ الوكيلُ بالزّيادة، واعتذرَ اليومَ بالأصيلِ[10] علَى العَادَة، على أنه لو حصَلَتْ زيادةٌ فلزيد

---

(١) الخلال والسجايا . (٢) جمع شمال ، اسم ريح . (٣) الخمائل : جمع خميلة وهي الشجر الكثير الملتف . (٤) الأوراد : الورود . (٥) الأوراد : ما يتلوه الناسك من الأذكار . (٦) نسمت الريح : تحركت وهبت . (٧) اليراعة : القلم، وهي في الأصل : القصبة . (٨) الفترة : الضعف ، فالذهن الفاتر : المتعب المكدود .

(٩) الماهية في اصطلاح المناطقة : حقيقة الشيء ، واستعملها العامة بمعنى المرتّب .

(١٠) الأصيل : يريد به الرئيس .

وعَمْرو، إلى آخر الزمر، ولله الأمر. أحوالٌ متبددة، ونفوس متبلدة، وأشغال متعددة، وإخوانٌ خُوّان(١)، وخلّانٌ غيلان، ورفاق، وما أجمل الفراق! وقلت:

إلامَ أعانى الصبرَ والدهرُ غادرُ   وحتّى متى أشكو ومالى عاذرُ

ولو أننى أشكو عظائمَ شدّتى   لميتٍ، لرقّتْ لى العظامُ النواخرُ

وسألتَ عن فلان وفلان، وهيّان بن بيّان(٢)، ممن ينتسب للعلم وأهله، ويتظاهر بشعار فضله، ولو كان العلمُ بلحيةٍ تعظم وتطول، وشوارب تخف وتستأصل، وعيونٍ على ما بها من غمصٍ ورمصٍ تكحّل ... ... فهم أعلمُ من أقلّته الغبراء، وأفقه من أظلّته الخضراء(٣)، وإن كان للعلم غيرُ هذه الآلات، فما لهم سوى هذه الحالات ... ... يا قوم: أهذا النحوُ وإعرابُه، والصرفُ وأبوابُه، والعروضُ وأوزانه وأبحره، والمعانى وإنشاؤه وخبره، والبيانُ وفرائده، والبديعُ وشواهده، وهذه العلومُ الموضوعة، والأسفارُ المحمولة، والدروسُ المأهولة(٤)، والأصوات المهولة، لمجرّدِ معرفةِ ضربِ زيدٍ لعمرو، وقتالِ خالدٍ لبكر. وأنّ قالَ أصلُها قَوَل، ثم لا يدرى ما حصل، والطويلُ من فعولن مفاعيلن، ثم لا يعلم، كيف ينظم، والفصلُ والوصل، ولا أصلَ ولا فصل، والحقيقةُ والمجاز، وليس لها مجاز، والتوريةُ والجناس، مما يحفظ ولا يقاس. إذًا والله تكون تلك الفنون، من أفانين(٥) الجنون، ويكون الميلُ إليها، والإقبالُ عليها، عملًا حابطًا(٦)، وشغلًا

(١) خوان: جمع خائن. (٢) هيان بن بيان: اسم لمن لا يعرف ولا يعرف أبوه.

(٣) الخضراء: السماء. (٤) الغاصة بالتلاميذ. (٥) أفانين: أنواع.

(٦) حابطا: باطلا.

سَاقِطًا ، وَهَوَسًا عاطِلا ، وَوَسْـوَاسًا باطلا ، ويكون واضِعُوها أَسَاءوا الناس ، وأخطأوا القياس ، وَبَنَوْا عَلَى غيرِ أساس ، كَلَّا إنمـا وَضَعُوا هـذه القواعِد ، وَشَرَعُوا للنَّاسِ تلك الموارِد[1]، لِيَتكلَّموا بكلامِ العربِ مثلَ ما تَكلمَتْ ، ويَفهمُوا من ألفاظِها كالذى فَهِمَتْ ، وَيُتَرْجِمُوا عن سرائرِ الضَّمائرِ كما تَرْجَمت ، وَيَنْثُرُوا وَيَنْظِموا كما نَثَرَتْ وَنَظَمَتْ . وقد كانت هذه العربُ التى أَوْدع اللهُ الفصاحةَ لِسَانَها ، وشرَّف بسيدِنا النَّبيِّ والقرآنِ العربيِّ مَكانَهَا ، تتكلم بهذه اللغةِ العَلِيَّة ، على الفِطْرةِ الأَصْلِيَّة ، والسَّجِيَّةِ الجِبِلِّيَّـة ، من غير هـذه القواعِد والأصول ، وتلك الأبوابِ والفصول . وكانت تَعْتَدُّ البلاغةَ مبلغَ عُلاَهَا ، وَتَعتَقِدُ الفصاحَةَ من محاسنِ حُلاَهَا ؛ إلى أن خَلَفَ هذا الخَلَف ، فظنُّوا تلك الوسائلَ مقاصِد ، ليس بعدها غايةٌ لقاصِد ، وحَسِبُوا هذه الكُتُبَ تُقصَد لذاتِها ، ويُكْتَفى بالتَّعبد بكلماتِها ، فوقفوا عندَها ، ولم يتجاوزوهم لمـا بَعدَها ، واتخذوا الأدبَ وراءَهم ظِهْرِيًّا[2] ، وجعلوا النظم والنثر شيئًا فَرِيًّا[3] ...

٥ — السـيد عبـد الله النَّدِيم[4]

من رسالة طويلة ، تعمّد فيها أن يقتبس الفاصلة الثانية من آى الذكر الحكيم :

لاَحَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ ، اشْتَبَه المُرَاقِبُ[5] بِاللَّاه[6] ، واستُبْدِلَ الحُلْوُ بِالمُرِّ ، وقدِّم الرَّقِيقُ عَلَى الحُرّ ، وَبِيعَ الدُّرُّ بالخَزَف[7] والخَزُّ[8] بالحَشَف[9] ، وأَظْهَرَ كُلُّ لَئِيمٍ كِبْرَه ، إنَّ

---

(١) الموارد : مواضع الماء يستق منها . شرعوها : فتحوها . (٢) أى نبذوه .

(٣) أى إثمـا . (٤) انظر ترجمته فى الشعر . (٥) يريد بالمراقب : من يراقب الله تعالى ويخشى عذابه . (٦) اللاه : اللاهى ، وهذا جناس . (٧) الخزف : الفخار .

(٨) الخز بفتح الخاء : الحرير يخلط بالصوف . (٩) الحشف : الردىء من الصوف .

فى ذلك لعبرة : سمْعًا سمْعًا، فالوشاةُ إنْ سعوْا لا يعقلُوا ، ويُحِبّونَ أنْ يُحمدُوا بما لم يفعلُوا، فكيْف تشْترُون منْهم القَـار (١) فى صفة العنْبر، وقدْ بدت البغضاءُ منْ أفواههِمْ وما تُخفِى صدُورُهمْ أكْبر، وكيف تسمع الأحْبابُ لمنْ نهى منْهم وزجر، ولقدْ جاءهُمْ منْ الأنباءِ ما فيـهِ مزْدجر (٢) . عجبْتُ لهُمْ وقدْ دخلُوا دارنا وهُمْ عنْها مُعرضُون . فلمَّا أحسُّوا بأسنا إذا هُمْ منْها يرْكُضُون (٣) . وأنْت ياعزيز العلْياء، ووحيد الدُّنيـا، قدْ بيّنتُ لك فعْلهُـمْ، فبِما رحْمـة (٤) من الله لنْت لهُم . ولكنَّهُمْ طمعُوا فى عمِيم طوْلك (٥)، ولوْ كُنْت فظًّا (٦) غليظ القلْب لانْفضُّوا منْ حوْلك . أتُراهُمْ يعْقلُون كلامك أم يفْهمُون؟ ، لعمْرُك (٧) إنَّهُمْ لفِى سكْرتِهِمْ يعْمهُون (٨). لهُمْ قلُوبٌ لا يدْرُون بها للحسـد قرارًا، لو اطَّلعْت عليْهِمْ لوليْت منْهُمْ فِرارًا . كيْف يسْـعى العاذلُ بيْن النَّديم و إلْفه ، وقدْ خلت النُّذُرُ (٩) منْ بيْنِ يديْه ومنْ خلْفه . فياسادتى : دعُونى من المُعْجِبِ والمُطْرِب، ليْس البِرَّ أنْ تُولُّوا وُجُوهكُمْ قِبل المشْرِق والمغْرِب، واجْعلُوا سيْف ثباتِكُمْ للعُذَّالِ مسْلُولا ، وأوْفُوا بالعهْد إنَّ العهْد كان مسْئُولا .

---

(١) القار : الزفت .

(٢) ازدجره كزجره : منعه ونهاه .

(٣) البأس : القوة . وركض : جرى وعدا .

(٤) فبما رحمة : فبرحمة، وما للتوكيد .

(٥) طولك بفتح الطاء : إحسانك .

(٦) الفظ : الجافى النفس السيئ الخلق .

(٧) لعمرك بفتح العين وسكون الميم وضم الراء : وحياتك .

(٨) يعمهون : يتحيرون .

(٩) النذر بضمتين : جمع نذير بمعنى الإنذار .

٦ ـ السيد جمال الدين الأفغانى (١)

كتب إلى عبد الله باشا فكرى يعتب عليه وقد بلغه أن رجلاً ذمّه أمام الخديو على مسمع من فكرى باشا فسكت ولم يدافع عنه (٢) :

مــولاى ! إنْ نَسَبْتُك إلى هَوادَةٍ فى الْحَقِّ وأَنْتَ ـ تقدّسَتْ جِبِلّتُك (٣) ـ فُطِرْتَ عليه وتخوضُ الغَمَرَاتِ إليْهِ، فَقَدْ بِعْتُ يقينِى بالشك ، وإنْ توهمتُ فيك حَيَدَانًا (٤) عن الرُّشد ، وجَوْرًا عَنِ القَصْد، وأَنَا مُوقِنٌ أَنَّكَ لاَ زِلْتَ عَلَى السَّـدَادِ غَيْرَ مُفْرِطٍ وَلا مُفرِّط (٥) فَقَـدِ اسْتَبْدَلْتُ عِلْمِى بالجَهْـل ـ وَلَوْ قُلْتُ : إنّكَ مِنَ الَّذِينَ تأخُذُهُمْ فِى الْحَقِّ لَوْمَةُ لائِمٍ، وَتَصُـدُّهُمْ عَنِ الصِّدْقِ خَشْيَةُ ظَالِم، وَأَنْتَ تَصْـدَعُ بِهِ (٦) غَيْرَ وَانٍ وَلاَ ضَجِرٍ ، وَلَوْ أَلَّبَ (٧) البَاطِلُ الْكَوَارِثَ الْمُرْدِيَة وَأَجْرَى عَلَيْكَ الخُطُوبَ الْمُوبِقَة، لَكَذَبْتُ نَفْسِى وكَذَّبَنى مَنْ يَسْمَعُ مَقَالَتِى، لِأَنَّ الْعَالِمَ وَالْجاهِلَ والْفَطِنَ

---

(١) هو محمد بن صفدر ولد فى أسعد أباد وتنقل فى بلاد الهند وأفغانستان، ثم رحل إلى الآستانة ، ثم نفى منها فجاء مصر ونفخ فيها من روحه ، وأسس نهضة إصلاحية فى الدين والسياسة وتلمذ له فيها الشيخ محمد عبده وغيره، نفى من مصر ، ثم قصد باريس وأنشأ فيها مع الشيخ محمد عبده جريدة «العروة الوثقى» ثم دعى إلى الآستانة وبها مات سنة ١٣١٥ هـ .

(٢) قد تبين للسيد بعد ذلك أن فكرى باشا دافع عنه فى ذلك المقام أبلغ دفاع .

(٣) أى طهر أصلك وطبعك .

(٤) الحيدان : الميل .

(٥) الإفراط فى الشىء : المغالاة فى الأخذ فيه . والتفريط : إهماله كل الإهمال .

(٦) تصدع به : تجهر به .

(٧) ألب : جمع .

وَالْغَبِيّ كُلُّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى طَهَارَةِ سَجِيَّتِك، وَنَقَاوَةِ سَرِيرَتِك، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْفَضَائِلَ حَيْثُ أَنْت، وَالْحَقُّ مَعَكَ أَيْنَمَا كُنْت، لَا تُفَارِقُ الْمَكَارِمَ وَلَوِ اضْطُرِرْتَ وَأَنْتَ مَجْبُولٌ عَلَى الْخَيْرِ لَا يَحُومُ حَوْلَكَ شَرٌّ أَبَدًا، وَلَا تَصْدُرُ عَنْكَ نَقِيصَةٌ قَصْدًا، وَلَا تَهِنُ(١) فِي قَضَاءِ حَقّ، وَلَا تَنِي عَنْ شَهَادَةِ صِدْق — وَمَعَ هَذَا وَهَذَا وَذَاكَ إِنَّكَ مَعَ عِلْمِكَ بِوَاقِعِ أَمْرِي، وَعِرْفَانِكَ بِسَرِيرَتِي وَسِرِّي، أَرَاكَ مَاذُدْتَ عَنْ حَقٍّ كَانَ وَاجِبًا عَلَيْكَ حِمَايَتُه، وَلَا صُنْتَ عَهْدًا كَانَتْ عَلَيْكَ رِعَايَتُه، وَكَتَمْتَ الشَّهَادَةَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي مَا أَضْمَرْتُ لِلْخِدِيوِ وَلَا لِلْمِصْرِيِّينَ شَرًّا، وَلَا أَسْرَرْتُ لِأَحَدٍ فِي خَفِيَّاتِ ضَمِيرِي ضَرًّا. وَتَرَكْتَنِي وَأَنْيَابَ النَّذْلِ اللَّئِيمِ (فُلَانٍ) حَتَّى نَهَشَنِي نَهْشَ السَّبُعِ الْهَرِمِ الْعِظَام، ضَغِينَةً مِنْهُ عَلَى السَّيِّدِ إِبْرَاهِيمَ اللَّقَانِيِّ وَإِغْرَاءً مِنْ أَعْدَائِي أَحْزَابِ (فُلَان)! مَا هَكَذَا الظَّنُّ بِك، وَلَا الْمَعْرُوفُ مِنْ رُشْدِكَ وَسَدَادِك، وَلَا يُطَاوِعُنِي لِسَانِي — وَإِنْ كَانَ قَلْبِي مُذْعِنًا بِعِظَمِ مَنْزِلَتِكَ فِي الْفَضَائِلِ، مُقِرًّا بِشَرَفِ مَقَامِكَ فِي الْكَمَالَاتِ — أَنْ أَقُولَ: عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَف، إِلَّا أَنْ تَصْدَعَ بِالْحَقّ، وَتُقِيمَ الصِّدْق، وَتُظْهِرَ الشَّهَادَةَ إِزَاحَةً لِلشُّبْهَة، وَإِدْحَاضًا لِلْبَاطِل، وَإِخْزَاءً لِلشَّرِّ وَأَهْلِه، وَأَظُنُّكَ قَدْ فَعَلْتَ أَدَاءً لِفَرِيضَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْل. ثُمَّ إِنِّي يَا مَوْلَايَ أَذْهَبُ الْآنَ إِلَى لَنْدَنَ وَمِنْهَا إِلَى بَارِيسَ مُسَلِّمًا عَلَيْكُمْ، وَدَاعِيًا لَكُمْ — وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَخِي الْفَاضِلِ الْبَارِّ أَمِينِ بِك »

٨ صفر سنة ١٣٠٠ جمال الدين الأفغاني

---

(١) تهن: تضعف.

٧ – لأديب إسحاق (١)

أوروبا والشـــرق

كتب تحت هذا العنوان :

قُضِىَ عَلَى الشَّرْقِ أَنْ يَهْبِطَ بَعْدَ الِارْتِفَاعِ ، وَيَذِلَّ بَعْدَ الِامْتِنَاعِ (٢) وَيَكُونَ هَدَفًا (٣) لِسِهَامِ الْمَطَامِعِ وَالْمَطَالِبِ ، تَعْبَثُ بِهِ أَيْدِى الْأَجَانِبِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . فَمِنْهُمْ مَنْ يُغِيرُ عَلَيْهِ بِحُجَّةِ الْغَيْرَةِ عَلَى الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَدَاخَلُ فِيهِ بِدَعْوَى إِقَامَةِ الْمَدَنِيَّةِ . وَلَمْ نَرَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَقَ فِى دَعْوَاهُ ، بَلْ كُلُّهُمْ تَابِعٌ فِى ذَلِكَ قَصْدَهُ وَهَوَاهُ .

٨ – نجيب الحـــدّاد (٤)

كتب فى إرضاء الناس :

" عِبَارَةٌ لَوْ وُضِعَتْ فِى كُتُبِ اللُّغَةِ لَكَانَتْ أُخْتَ الْمُسْتَحِيلِ فِى الْمَعْنَى ، وَمُرَادِفَ النَّجْمِ فِى الْبُعْدِ ، وَشِبْهَ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ (٥) فِى النُّدْرَةِ وَالْقِلَّةِ . وَإِنْ شِئْتَ فَقُلْ : إِرْضَاءُ النَّاسِ كَلِمَةٌ تُقَالُ ، وَلَا تُخَالُ ، حَتَّى يُصَاغَ مِنَ الْخَاتَمِ خَلْخَالٌ . وَمَنْ

---

(١) ولد بدمشق وتعلم فى مدارس المرسلين العربية والفرنسية ، وأجاد الأدب العربى واشتغل بالسياسة والصحافة ، وأنشأ جريدة مصر واتصل بجمال الدين الأفغانى . وتوفى سنة ١٨٨٥ م . ويمتاز أسلوبه بالإرسال المزوج بالسجع مع السهولة .

(٢) الامتناع : الرفعة والتمنع على صروف الزمن أن تنال منه شيئا .

(٣) الهدف : بفتحتين مرمى السهام .

(٤) كاتب رقيق ، وشاعر مجيد ، اشتغل بالتحرير فى الصحف ، وترجمة الروايات ، وأسلوبه عذب ، وألفاظه مختارة .

(٥) الكبريت الأحمر ، يضرب به المثل فى القلة والندرة .

لَا يَقْـدِرُ أَنْ يُرْضِيَ الْوَاحِدَ الْفَرْدَ فِي جَمِيعِ أَخْلَاقِهِ ، كَيْفَ يَقْـدِرُ عَلَى أَنْ يُرْضِيَ الْجَمِيـعَ ؟ ... ... "

ومن كلامه الجارى مجرى الحكم :

مَنْ جَارَ عَلَى صِبَاه ، جَارَتْ عَلَيْهِ شَيْخُوخَتُهُ .

مَهْمَا اجْتَهَدَتِ الْمَرْأَةُ فِي أَنْ تُقَلِّدَ الرَّجُل ، بِجُلُّ مَا تَصِلُ إِلَيْـهِ أَنَّهَا لَا تَصِيرُ رَجُلًا ، وَلَا تَعُودُ امْرَأَةً !

مِنْ غَرِيبِ طَبَائِعِ الإِنْسَان ، أَنَّهُ يُحِبُّ الْعَدَالَةَ مَظْلُوما ، وَيَكْرَهُهَا ظَالِمـا ؛ وَيَطْلُبُ الْحُرِّيَّةَ مَرءُوسا ، وَيُنْكِرُهَا رَئِيسا !

٩ — مصطفى بك نجيب (١)

كتب يصف نظَّارةً ويشكر من أهداها :

وَرَدَ الْكِتَابُ الْمُطَرَّزُ بِحُلَى الْكَرَم ، الْمُحَلَّى بِجَمِيلِ النِّعَـم ، وَاسْتَلَمْتُ (٢) الهَـدِيَّة ، فَسَلِمَتْ يَدٌ أَهْـدَتْهَا ، وحُفِظَتِ السَّجَايَا الَّتِي لِمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ هَدَتْهَا ، وَدَامَتْ رِحَابٌ لِمِثْـلِ هَذِهِ الحَسَنَاتِ فِيهَا مَجَال ، ولِلْمُحْسِنَاتِ بَهَاءٌ وجَمَال ، ولِلآمَالِ مَحَطٌّ

(١) هو مصطفى بن محمد نجيب . شاعر كاتب ، يمتاز بسهولة الأسلوب ، ورشاقة العبارة ، وإيراد أبرع النكات فى شعره ونثره . وقد نشأ فى معية الخديو ، ثم تحوّل الى وزارة الداخلية فشـغل فيها منصبا كبيرا حتى مات رحمه الله ، وهو صاحب رسائل " أحلام الأحلام " وكتاب " حماة الاسلام " الذى نشر منجما فى جريدة اللواء . توفى سنة ١٣٢٠ هـ .

(٢) لقد جارى الكاتب أهل العصر فى استعمال هذه الكلمة ، والاستلام لا يكون إلا لحجر الأسود ، بتقبيله أو بلمسه باليد ، وأما فى غير ذلك فلا يقال : إلا تسلم الشىء ، وسلمته إياه .

رِحَال ، ولِلقَاصِــدِ كَعْبَةُ إقبَال ، وطَابَتْ نفسٌ تعالى الله أنْ تُمَـاثِلهَا نفسُ عِصَام(١) ، فإنَّها نَسَخَتْ آيَةَ الكَرِّ والإقدَام ، بآيةِ الجُودِ والإكْرَام ، وفَعَلَتْ فى القُلوبِ بالعَطَاءِ والنَّوَال ، ما قصَّرَتْ عَنْهُ الرِّماحُ الطِّوَال ، وتأمَّلتُها فأرَتْنِي مَا لَا عينٌ رأَتْ ، وأظهرَتْ من محاسِنِ المَنَاظِرِ ما أضْمَرَتْ ، وقرَّبَتْ كلَّ منظُورٍ بعيد ، وتلَتْ ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيد(٢) ﴾ وصفَا وقْتِي بِصَفَائِهَا ، فَلَمْ أشْتَهِ شيْئاً إلا جَمَعَتْ بينَه وبيْنِي ، وصَحَّ عَلَيْنَا قولُ القَائِل : « رَأَيْتُ بعينِهَا ورأَتْ بعينِي » ، ثم سَرَّحْتُ نَظَرِي فِي الأَطْلَالِ والرُّسُوم(٣) ، حَتَّى نَظَرْتُ نَظْرَةً فى النُّجُوم ، فلم تُخْفِ عَنِّي شجَراً ولا مدراً(٤) ، ولا نَجْمًا ولا قمَرا :

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْناً * إذَا مَا زدتَه نَظَــرَا

بِبَهَاء ، يُخَيَّــلُ لِي أَنَّهَا صِيغَتْ مِنْ ضِيَاء ، فلو كانَتْ فى يَدِ ذَلِكَ الظَّمْآنِ — أَستغفرُ الله — لما كانَ يَحْسِب أنَّ السَّرَابَ مَاء ، استغربَتْهَا العُقولُ حَتَّى صَارَ لِكُلِّ إنْسَانٍ فِيهَا نَظَر ، واطَّلَعَتْ على تَفَاوُتِ النَّاسِ فجاءَتْ لكل بَصَرٍ بقَــدَر ، ونَالَ بِهَا كُلٌّ قَصْدَهُ ومَرَامَه ، واسْتَوَى عِنْدَها « أَعْمَى وأَعْشَى ثم ذُو بَصَرٍ وزَرْقَاءُ اليَمَـامَة(٥) » ، فَلَوْ كَانَتْ عَيْنًا لَكَشَفَتْ حَقَائِقَ الضَّمَائِر ، ونُظِر بها تقلُّبُ القلوبِ وحَقِيقَةُ البَصَائِر .

---

(١) اسم رجل أنشأ نفسه و يضرب به المثل ، قال النابغة الذبياني يمدحه :

نفس عصام سودت عصاما * وعلمتـه الكر والاقداما

* وصــــيرته ملكا همــاما *

(٢) حديد : قوى نفاذ . (٣) الأطلال والرسوم : ما بقى من آثار الديار بعد أن تركها أهلها . (٤) المدر : التراب المتلبد ، أو الطين . (٥) امرأة يمانية يقال إنها كانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام .

شَهِدَ لَهَا الْجَمْعُ بِالْفَضْلِ لَمَّا ظَهَرَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ لَدَيْهَا حَالَةُ ضَعْفِه ، وعَظَّمَ مِقْدَارَها كُلُّ فَرْدٍ ورَفَعَها — رَغْبَةً مِنْهُ أو رَغْمًا — عَلَى أَنْفِه ، ولا عَيْبَ فِيهَا غيرَ أَنِّى نظرتُ بِهَا فى سَمَاءِ فَضْلِكَ الْبَاهِرِ ، وأُفُقِ شَرَفِكَ الطَّاهِرِ ، فلم يَنْكَشِفْ لى بِهَا لُحُوكَ آخِرٍ ، لَا زَالَ كَرَمُكَ بعيدًا حَدُّه عَلَى كُلِّ نَاظِرٍ وبَاصِرٍ ، وفَضْلُ مَنَاهِلِكَ غَايَةً تَقْصِدُهَا الْأَوَائِلُ وَالْأَوَاخِرُ .

١٠ — للشيخ محمد عبده (١) من رسالة التوحيد

القرآن

جاءنا الخبرُ المتواترُ الذى لا تَتَطَرَّق إليه الرِّيبَةُ أن النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم كانَ فى نَشْأَتِه وأُمِّيَّتِه عَلَى الحَالِ التى ذَكَرْنَا ، وتَوَاتَرَتْ أَخْبَارُ الأُمَمِ كَافَّةً عَلَى أَنَّهُ جاءَ بِكِتَابٍ قَالَ : إِنَّهُ أُنْزِلَ عَلَيْه ، وأنَّ ذلكَ الكتابَ هُوَ القرآنُ المكْتُوبُ فى المَصَاحِفِ ، المحفوظُ فِى صُدُورِ مَنْ عُنِيَ بِحِفْظِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْيَوْمِ .

كِتَابٌ حَوَى من أخبارِ الأمم الماضيةِ ما فيه مُعْتَبَرٌ (٢) للأَجيالِ الحاضِرَةِ والمُسْتَقْبَلَة ؛ نَقَّبَ عَلَى الصحيحِ مِنْهَا ، وغادرَ الأباطيلَ التى أَلْحَقَتْهَا الأَوْهَامُ بِهَا ، ونَبَّهَ عَلَى وُجُوهِ العِبْرَةِ فيها . حَكَى عن الأنبياءِ ما شاء اللهُ أن يَقُصَّ عَلَيْنَا من

(١) ولد الشيخ العالم الأديب محمد عبده فى محلة نصر إحدى قرى مديرية البحيرة ، ودرس بالأزهر العلوم العقلية والأدبية والدينية ، واتصل بجمال الدين الأفغانى ، وكان أكثر الناس انتفاعا به ، ثم نفى عقب الثورة العرابية ، ولكنه عاد الى مصر وتولى التدريس والقضاء فى المحاكم الأهلية ثم الافتاء مجتهدا محققا . وقد توفى سنة ١٣٢٣ هـ بعد أن ترك آثارا ثمينة وطبقة من أنبه الطبقات المصرية .

(٢) معتبر : عبرة وموعظة .

سِيَرِهِمْ ، وما كانَ بَيْنَهُمْ و بين أُمَمِهِمْ ، و برَّأهم مما رَمَاهُمْ به أهلُ دِينِهِمْ المعتَقِدُونَ برِسَالاتِهم . آخَذَ (١) العلماء من المِلَل المختلفةِ عَلَى ما أَفْسَدُوا من عَقَائِدهم ، وما خَلَطُوا فى أَحْكَامِهِمْ ، وما حَرَّفوا (٢) بالتأويل فى كُتُبِهِم . وشَرَعَ للنَّاسِ أَحْكامًا تَنْطَبِقُ عَلَى مَصَالِحِهِمْ ، وظَهَرتِ الفائدَةُ فى العَمَلِ بِهَا والمحافَظَةِ عَلَيْهَا ، وقام بِهَا العَـدْل ، وانتَظَم بِهَا شَمْـلُ الجماعةِ مَا كانت عِنْدَ حَدِّ ما قَرَّرَه (٣) ، ثم عَظُمتِ المَضَرَّةُ فى إِهْمَالِهَا وَالِانْحِرَافِ عنهَا أَوِ البعد بِهَا عن الرُّوحِ الذى أودَعَتْـه (٤) ففاقَت بذلكَ جميعَ الشرائعِ الوَضْعِيَّةِ (٥) كما يتَبَيَّنُ لِلنَّاظِرِ فى شَرَائعِ الأُمَم . ثُمَّ جاء بعـد ذلك بِحِكَمٍ ومواعِظ وآدابٍ تَخْشَعُ لها القلوب ، وتَهَشُّ (٦) لاستقبالها العُقُول ، وتَنْصَرِفُ وَرَاءَهَا الهِمَم ، انصِرَافَهَا فى السَّبِيلِ الأَمَمِ (٧) .

نَزَل القرآنُ فى عَصرٍ اتفقَ الرُّواةُ وتواتَرتِ الأخبارُ عَلَى أنه أرقَى الأعصارِ عِنْدَ العـربِ وأَغْزَرُها مادةً فى الفَصَاحة ، وأنه الممتازُ بينَ جميـع ما تقدّمَه بوفْرَةِ رجالِ البلاغة ، وفُرْسَانِ الخَطَابَة ، وأَنْفَسُ ما كانَتِ العربُ تَتَنَافَسُ فيهِ مِنْ ثِمـارِ العَقْلِ وَنَتَائِجِ الفِطَنِ والذَّكاءِ هُوَ الغَلَبُ (٨) فى القَول ، والسَّـبْقُ إلى إصابةِ مكانِ الوِجْـدَانِ من القُلوب ، ومَقَرِّ الإِذْعَانِ مِنَ العُقُول ، وتَفَانِيهِمْ فِى المُفَاخَرةِ بذلك مما لا يُحْتَاجُ الى الإطَالةِ فى بَيَانِه .

---

(١) آخذ : حاسب .
(٢) التحريف : التغيير ، ووضع شىء مكان شىء .
(٣) يريد مادامت قائمة على حدوده ، عاملة بأحكامه .
(٤) أودعته : حفظت فيه .
(٥) الشرائع الوضعية : القوانين التى تسنها الحكومات .
(٦) تهش : ترتاح وتسر .
(٧) الأمم بفتح الهمزة والميم : البين الواضح .
(٨) الغلب : التغلب .

تواتر الخبر كذلك بما كان منهم من الحرص على معارضة النبيّ صلى الله عليه وسلم، والتماسهم الوسائل قريبها وبعيدها لإبطال دعواه، وتكذيبه في الإخبار عن الله، وإتيانهم في ذلك على مبلغ استطاعتهم، وكان فيهم الملوك الذين تحملهم عزة الملك على معاندته، والأمراء الذين يدعوهم السلطان إلى مناوأته (١)، والخطباء والشعراء والكتّاب الذين يشمخون بأنوفهم عن متابعته. وقد اشتد جميع أولئك في مقاومته (٢)، وانهالوا بقواهم عليه استكباراً عن الخضوع، وتمسكاً بما كانوا عليه من أديان آبائهم، وحمية (٣) لعقائدهم وعقائد أسلافهم. وهو مع ذلك يخطّئ آراءهم، ويسفه أحلامهم (٤)، ويحتقر أصنامهم، ويدعوهم إلى ما لم تعهده أيامهم، ولم تخفق لمثله أعلامهم، ولا حجة له بين يدي ذلك كله إلا تحديهم (٥) بالإتيان بمثل أقصر سورة من ذلك الكتاب أو بعشر سور من مثله. وكان في استطاعتهم أن يجمعوا إليه من العلماء والفصحاء والبلغاء ما شاءوا ليأتوا بشيء من مثل ما أتى به ليبطلوا الحجة، ويفحموا (٦) صاحب الدعوة.

جاءنا الخبر المتواتر أن مع طول زمن التحدي، ولجاج (٧) القوم في التعدي، أصيبوا بالعجز، ورجعوا بالخيبة، وحقت للكتاب العزيز الكلمة العليا على كل كلام.

(١) مناوأته: محاربته. (٢) مقاومته: صده.

(٣) الحمية: النصرة. (٤) الأحلام: جمع حلم، وهو العقل.

(٥) التحدي طلب الإتيان بالشيء مع إظهار العجز عنه.

(٦) يفحمونه: يجعلونه عيياً عن النطق والمجاوبة.

(٧) اللجاج — هنا — المتابعة.

وله يصف نهج البلاغة :

أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب "نهج البلاغة" صدفة بلا تعمل ، أصبته على تغير حال، وتبلبل بال(١) وتزاحم أشغال(٢)، وعطلة من أعمال؛ فحسبته للتسلية، وجعلته للتخلية . فتصفحت بعض صفحاته، وتأملت جملا من عباراته، من مواضع مختلفات، ومواضيع متفرقات . وكان يخيل لي في كل مقام أن حروبا شبت، وغارات شنت، وأن للبلاغة دولة وللفصاحة صولة، وأن للأوهام عرامة(٣)، وللريب دعارة(٤) . وأن جحافل(٥) الخطابة ، وكتائب(٦) الذرابة(٧) ، في عقود النظام ، وصفوف الانتظام، تنافح(٨) بالصفيح(٩) الأبلج(١٠)، والقويم الأملج(١١) ، وتمتلج(١٢) المهج(١٣) ، برواضع الحجج . وتفل دعارة الوساوس، وتصيب مقاتل الخوانس(١٤). فما أنا إلا والحق منتصر، والباطل منكسر، ومرج الشك في خمود، وهرج(١٥) الريب في ركود؛ وأن مدبر تلك الدولة، وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحس بتغير

---

(١) تبليل البال : اضطرابه . (٢) الأشغال : جمع شغل، وهو ما يشغل النفس، أي تزاحم الهموم وشواغل النفس . (٣) عرامة — بفتح العين — : شدة وشراسة . (٤) الدعارة — بفتح الدال وكسرها — : الفجور وسوء الخلق . (٥) الجحافل : جمع جحفل — بفتح الجيم — وهو الجيش الكثير . (٦) الكتائب : جمع كتيبة — بفتح الكاف — وهي القطعة من الجيش . (٧) الذرابة — بفتح الذال — الفصاحة . (٨) تنافح : تدافع .
(٩) الصفيح : السيوف، وأراد بها هنا : المفرد . (١٠) الأبلج : الأبيض اللامع .
(١١) يريد بالقويم الأملج : الرمح المعتدل الأسمر . (١٢) تمتلج : تمتص .
(١٣) المهج ، جمع مهجة — بضم الميم — وهي دم القلب . (١٤) لعله يريد بالخوانس ما يجول في النفس من خواطر السوء . (١٥) المرج — بفتح الراء — القلق والاضطراب، وإنما تسكن الراء إذا قرنت بالهرج . والهرج — بسكون الراء — الفتنة .

الْمَشَاهِد ، وَتَحَوُّلِ الْمَعَاهِد : فَتَارَةً كُنْتُ أَجِدُنِي فِي عَالَمٍ يَعْمُرُهُ مِنَ الْمَعَانِي أَرْوَاحٌ عَالِيَة ، فِي حُلَلٍ مِنَ الْعِبَارَاتِ الزَّاهِيَة ، تَطُوفُ عَلَى النُّفُوسِ الزَّاكِيَة (١) ، وَتَدْنُو مِنَ الْقُلُوبِ الصَّافِيَة ، تُوحِي إِلَيْهَا رَشَادَهَا ، وَتُقَوِّمُ مِنْهَا مُنَآدَهَا (٢) ، وَتَنْفِرُ بِهَا عَنْ مَدَاحِضِ (٣) الْمَزَالّ ، إِلَى جَوَادِّ (٤) الْفَضْلِ وَالْكَمَال ، وَطَوْرًا كَانَتْ تَنْكَشِفُ لِي الْجُمَلُ عَنْ وُجُوهٍ بَاسِرَة (٥) ، وَأَنْيَابٍ كَاشِرَة وَأَرْوَاحٍ فِي أَشْبَاحِ النُّمُور ، وَمَخَالِبِ النُّسُور ، وَقَدْ تَحَفَّزَتْ لِلْوِثَاب ، ثُمَّ ٱنْقَضَّتْ لِلاخْتِلَاب ، فَخَلَبَتِ الْقُلُوبَ عَنْ هَوَاهَا ، وَأَخَذَتِ الْخَوَاطِرَ دُونَ مَرْمَاهَا ، وَٱغْتَالَتْ فَاسِدَ الْأَهْوَاء ، وَبَاطِلَ الْآرَاء . وَأَحْيَانًا كُنْتُ أَشْهَدُ أَنَّ عَقْلًا نُورَانِيًّا ، لَا يُشْبِهُ خَلْقًا جُسْدَانِيًّا ، فَصَلَ (٦) عَنِ ٱلْمَوْكِبِ الإِلٰهِيِّ ، وَٱتَّصَلَ بِالرُّوحِ الإِنْسَانِيِّ ، فَخَلَعَهُ عَنْ غَاشِيَاتِ الطَّبِيعَةِ وَسَمَا بِهِ إِلَى الْمَلَكُوتِ الْأَعْلَى ، وَنَمَا (٧) بِهِ إِلَى مَشْهَدِ النُّورِ الْأَجْلَى ، وَسَكَنَ بِهِ إِلَى عُمَارِ جَانِبِ التَّقْدِيس ، بَعْدَ ٱسْتِخْلَاصِهِ مِنْ شَوَائِبِ التَّلْبِيس . وَآنَاتٍ (٨) كَأَنِّي أَسْمَعُ خَطِيبَ ٱلْحِكْمَة ، يُنَادِي بِأَعْلِيَاءِ الْكَلِمَة ، وَأَوْلِيَاءِ أَمْرِ الْأُمَّة ، يُعَرِّفُهُمْ مَوَاقِعَ الصَّوَاب ، وَيُبَصِّرُهُمْ مَوَاضِعَ الِارْتِيَاب ، وَيُحَذِّرُهُمْ مَزَالِقَ الِاضْطِرَاب . وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى دَقَائِقِ السِّيَاسَة ، وَيَهْدِيهِمْ طَرِيقَ الْكِيَاسَة ، وَيَرْتَفِعُ بِهِمْ الَى مِنَصَّاتِ (٩) الرِّيَاسَة ، وَيُصْعِدُهُمْ شَرَفَ التَّدْبِير ، وَيُشْرِفُ بِهِمْ عَلَى حُسْنِ ٱلْمَصِير .

---

(١) الزاكية : المطهرة . (٢) المنآد : المعوج . (٣) المداحض : جمع مدحضة — بفتح الميم — وهى المزلقة والمزلة . (٤) الجواد — بتشديد الدال — جمع جادة ، وهى معظم الطريق أو وسطه . (٥) باسرة : متقطبة . (٦) فصل عنه — بصيغة البناء للفاعل — خرج عنه . (٧) نما به : ارتفع . (٨) آنات : أوقات .
(٩) المنصات : جمع منصة — بكسر الميم — وهى الكرسى .

١١ – إبراهيم بك المويلحى (١)

يَشْكُو بلسانِ حاجّ ما رأى إحْدى السِّنِينَ في الحج من فَتْكِ الْوَبَاءِ (٢) بالحُجَّاج وإهمالِ السُّلْطَاتِ شَأْنَهُ وشَأْنَهُمْ .

ترجمت إلى التركية وعرضت على السلطان عبد الحميد :

كذا فَلْيجلَّ (٣) الخَطْبُ ولْيَفدَح الأَمْرُ (٤) * ولَيْس لَعَينٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ

يقول الشاعرُ البيتَ الجَزْلَ من الشِّعْرِ لغرضٍ له حَقير، ثم يترُكُهُ ويأتى من بَعدِهِ مَن يضَعُه مَوضِعَهُ اللائِقَ به من حوادثِ الزَّمَان . وإنّ هـذا البَيْتَ لا يَحِل مَحَلَّهُ فى رثاءِ واحدٍ من الناس، وإنما يقال لِيُبكَى به ما أصابَ المُسْلِمِينَ فى مَكَّةَ هذا العام . ولا غَرْوَ (٥) أن ترتَعِدَ اليَدُ ويَقِفَ القَلَم، ويَتَلَعْثَمَ اللِّسانُ عند وصْفِ مَا فعلتْه المَنِيَّة حين قامت تَفْتِك فى الأَرْوَاح، وتَهتِك فى الأَشْبَاح (٦)، حتى فُرِشَت الأزِقَّة بالموتَى، وأَقَامت منهم كُثْبَانًا (٧) تَشْهَد على عَجْزِ الْقَوْمِ عَنْ تَدارُكِ الْأُمُور .

---

(١) أصل أجداده من مرفأ المويلح ببلاد العرب، وقد انحدروا إلى مصر من زمان بعيـد . وقد نشأ إبراهيم فى بيت حسب وغنى، وكان أبوه من كبار التجار يتجر فى الحرير، فنزع إبراهيم، مع معالجته للتجارة، إلى الأدب فقـرأ كثيرا فى كتب المتقدمين، وكان من أوائل من اسـتظهروها، حتى برع فى الأدب، وحذق الفرنسـية والتركية، وجوّد التاريخ القـديم والحديث، واتصل بالأفاضل المبرزين فى عصره . وشرع لونا من البيان يجمع بين جزالة الأسلوب وفحولة اللفظ، وبين الوقوع على المعانى الغريبة، والاستشهاد بالأمثلة الدقيقة، فكان فى بيانه نسيج وحده . وهو يعدّ بحق من أوائل من بعثوا النهضـة الأدبيـة فى العصر الحديث . وقد أصـدر جريدة نزهة الأفكار، ثم جريدة مصباح الشرق، وحرر فيهما وفى كثير من الصحف التى كانت قائمة فى عهده . وتوفى سنة ١٩٠٦ م (١٣٢٣ هـ) .

(٢) الوباء : المرض العام ينزل بالبلد فيصيب أهلها ويتغشاهم . (٣) فليجل : فليعظم .

(٤) فدح الأمر : ثقل وصعب احتماله . (٥) لا غرو : لا عجب . (٦) المراد من الأشباح هنا : الأجسام . (٧) الكثبان : جمع كثيب، وهو التل من الرمال .

ولقد رأيتُ من المناظرِ المُدهشةِ ما تتصاغر عنده عَظِيَاتُ النَّوائب، وتتضاءَلُ لديه جَسِيَاتُ المَصَائِب . فمن ذلك أنى رأيتُ شاباً عليه شارةُ[1] الحِشْمَةِ والنَّجابَة، يَتَخبَّط فى التُّرابِ ولا يستطيعُ إشارةً ولا كَلَاما، وإنما كان يَطْلُبُ بعينيه المملوءتين بالدَمعِ أن يَدْنُوَ منهُ أَحَدُ المارَّة، فَدَنوتُ منهُ فوجَدْتُه قَدْ مَات . فأَبكانى موتُهُ غريباً عَنْ أَهْلِهِ وقومِهِ على تلك الحالةِ المؤلِمَة، فطلبتُ بالأجرة مَنْ يَدْفِنُهُ فلم أَجِدْ أَحَدا، على إفراطِ حُبِّ المالِ فى هذَا البَلَد . فكتبتُ وَرَقةً وأرسلتُها إلى قَاضِى مكَّةَ أسأَلُهُ المَعُونَةَ على دَفْنِ هؤلاءِ الغُرباءِ المطروحِين تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ فى الطَّرِيق، فأجابنى بأن هذا لا يَعْلَق[2] بشىءٍ من وَظِيفَتِه، ولا يَخُصُّهُ الاشْتغَالُ بِهِ ! فسألتُ عن غيرِه من أصحابِ الحَلِّ والعَقْد[3]، فوجدتُهُمْ قد طَارُوا إلى الطَّائِف وتركُوا مَكَّةَ للقَتْلِ العَامّ .

وبينَا أنا حَيْرَانُ فى وسَطِ هـذه المقبرة المكْشُوفَة، إذ لاحَتْ منِّى التِفَاتَةٌ إلى الموْتَى فرأيتُ، ولَيْتَنِى لم أَرَ، امرأةً اختطفَتْهَا المنيَّة من بنْتٍ لها صغيرةٍ لم تبلغْ سِنَّ التَّمْييز بين النَّوْمِ والمَوْت، وقد شَرَعتْ تلك الصغيرةُ تُحَرِّكُ أُمَّهَا بيَدَيْهَا لإيقاظِها، وتبكى لِعَدَم إجابتِهَا، بعيونٍ تقَسَّمَتْ نَظراتُهَا بين السَّماءِ والأَرْض، وتَعِدُهَا فى خِلَال تلكَ النَّظَرَاتِ المُبْهَمَة أنَّها لَا تَعُودُ لشىءٍ كانَتْ نَهَتْهَا عَنْه، بعباراتٍ تَسْتَخْرِجُ الحُنُوَّ[4] والشَّفَقةَ من القلوبِ الصَّخْرِيَّة . فأمسكتُ بالبِنْتِ ولا أقدرُ أَنْ أَصِفَ لكَ كَيْفَ

(١) الشارة : العلامة والدلالة . (٢) يعلق : يتصل، أى ليس من شأنه .

(٣) المراد أهل التصرف فى الأمور، وهم رجال الحكومة .

(٤) الحنو : الحنان .

فَصَلْتُهَا عن رِمَّة أُمِّها (١) ، وكيف كان حالُهـا وحالُ مَنْ يَرَاهَا عنـد آخِرِ نظرَةٍ نظرَتْها إلى وَالدتِهَا وكافِلَتِهَا (٢) .

ثم قَفَلْنَا إلى جُدَّةَ مُشَتَّتِين ، فَعلمْنا أَنَّ الدَّوْلة قد أَرسَلَتْ وَابُورًا لنَقْلِ الحُجَّاج ، وليتها لم تُرسِـلْ فإنّ قبطَانَ الوابُورِ كانَ أشَدَّ قسْوةً عَلَى الحُجَّاجِ من الموْت : أَمَرَ أَوّلًا بإلقَاءِ قِسْمٍ مِمَّا كانَ مَعَهُمْ منَ الأزْوَادِ (٣) فى البحر بدعوى المحافظة على الصِّحَّة . ثمَّ أَخَذَ يَبِيعُ لَهُمْ ثانيًا ، وهم فى اللُّجَّـة (٤) مما احتَكَرُه مِنَ القُوتِ ، بَيْعَ القَحْطِ اليُوسُفِىّ (٥) ولمـا لمْ يَبْقَ معهم من النَّقْدِ شىء ، شرع يَبِيعُ لهم بمـا مَعَهم من الهَدَايَا وَالسُّبَح . وكان الجَبَّارُ لا يُحِبُّ أن يَسْمَعَ بمريضٍ فى السفينة ، ولهذا اضْطُرَّ كثيرٌ أن يَكتُمُوا أَمراضَهم . وما زلنا معه على شَفَا (٦) الخَطَرِ إلى أن وَصَلنا إلى الطُّور ، فلقِينا هُنَاكَ مِنْ كِبْرِياءِ الأَطِبَّاءِ وعَظَمتِهِمْ ما تمنَّينا له أن نكونَ طُعْمًا (٧) للحِيتَان ؛ فإنهُـمْ كانوا يَأْنَفُونَ أَنْ يمَسُّـوا أَيْدِىَ الحُجاجِ بأيديهـم ، وكانوا يكْتَفُونَ بالنَّظرِ الشَّزْرِ (٨) إليْهِمْ . وكثيرًا ما كانوا يَعتَرِضُونَ عَلَى الحُجَّاج . فاعتقدتُ أَنَّ الخيرَ ارْتَفَعَ إلى السَّماء ، وأنّ الأرْضَ أَصْبَحَتْ قَاعًا صَفْصفًا (٩) من نَوْعِ الإنْسَان ، وأن الذين نَرَاهُمْ هُمْ شَيَاطِينُ عَلَى صُورَة البَشَــر !

---

(١) الرمة : الجثة . (٢) الكافلة : التى تكفله وتقوم على أمره .

(٣) الأزواد : جمع زاد ، وهو ما يتخذ من الطعام للسفر .

(٤) أى فى عرض البحر . (٥) القحط الذى أصاب مصر ، وذكر فى القرآن فى سورة يوسف . (٦) الشفا : حرف كل شىء . (٧) الطعم : الطعام .

(٨) النظر : الشزر ، هو النظر بجانب العين دليلا على الإعراض أو الغضب .

(٩) الصفصف : المستوى المطمئن ، والمراد : أنها خالية لا أحد بها .

* * *

وقُصارَى القول أننا فى زمن أصبحَ القابضُ على دينه فيه كالقابضِ على الجمْر. فلا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله .

ومن كتاب له :

" أَكْتُبُ كِتَابِى هَذَا إِلَيْكَ ، وَنَفْسِى تَنْظُرُ إِلَى نَفْسِكَ فِى عُلُوِّهَا وَارْتِفَاعِهَا نَظَرَ السُّلَحْفَاةِ إِلَى الأَجْدَلِ (١) ، فَوْقَ شُرُفَاتِ الْمِجْدَلِ (٢) ، وَتُحَدِّثُنِى : لَوْ مُدَّ لِى طَرِيقٌ قُضْبَانُهُ مِنَ الذَّهَبِ لَا الْحَدِيد . وَمَرْكَبَاتُهُ مِنَ الْيَوَاقِيت، وَسَائِقُ آلَتِهِ جِبْرَائِيل، لِيُبْلِغَنِى بَلَدًا أُسَاكِنُ فِيهِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، لَفَضَّلْتُ الْجُلُوسَ حَيْثُ أَنَا الآنَ ؛ أَكْتُبُ لَكَ هَذَا الْكِتَابَ تَحْتَ ظِلِّ هَذِهِ الشَّجَرَةِ لَا أَظْلِمُ وَلَا أُظْلَمُ ! "

١٢ – الشيخ إبراهيم اليازجى (٣)

كتب يعزّى بعض أصدقائه :

مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْقَضَاءَ وَاقِع، وَأَنَّ الأَعْمَارَ رَهَائِنُ الْمَصَارِعِ (٤) ، فَلَمْ يَصْحَبْ دَهْرَهُ عَلَى غِرَّةٍ (٥) ، وَلَمْ يَفْتُرْ (٦) مِنَ الأَقْدَارِ بِفَتْرَةٍ (٧) . لَمْ تَكْبُرْ عَلَيْهِ الرَّزِيئَةُ (٨) إِذَا اغْتَالَتْ، وَلَمْ يَطْمَئِنَّ

(١) الأجدل : الصقر . (٢) المجدل، بكسر الميم وفتح الدال : القصر .

(٣) يعدّ إبراهيم اليازجى من خير علماء اللغة والنحو والأدب فى هذا العصر . أصدر بمصر مجلتى البيان والضياء ، وله مؤلفات محكمة فى علوم اللغة والنقد اللغوى . توفى سنة ١٣٢٤ هـ .

(٤) المصارع : المهالك . (٥) الغرة بكسر الغين : الغفلة .

(٦) يفتر : يسكن . (٧) الفترة بفتح الفاء : الهدنة وما بين النوبتين من الحمى .

(٨) الرزيئة : المصيبة .

إلى السَّلامَةِ وإنْ طَالَتْ[١] ، فإنَّ للدَّهْرِ رَقْدَةً وَهَبَّةً[٢] ، وإنَّ لليَالِي كَمْنَةً[٣] وَوَثْبَةً . وَمِثْلُكَ مَن أَدْرَكَ مَبَادِئَ الأُمُورِ وَمَصَايِرَهَا[٤] ، وَعَرَفَ مَوَارِدَ الحَيَاةِ وَمَصَادِرَهَا . وَإِنَّمَا المَوْتُ طَوْرٌ مِنْ أَطْوَارِ الوُجُودِ ، وَآخِرُ أَعْمَالِ الحَيَاةِ في المَوْجُود . وَلَا أَزِيدُكَ عِلْمًا بالكَوْنِ وشَرَائِعِه ، والكائِنِ وطَبَائِعِه . إنما هِيَ ذِكْرَى لِمَنْ فَجَأَهُ الرُّزْءُ فَشَغَلَه ، وَحَلَّ بِساحَتِهِ القَضَاءُ فَأَذْهَلَه . وحَسْبِي من التَّعْزِيَةِ عِلْمِي بما عِنْدَكَ مِنْ مَوَارِدِ العِلْمِ المُبَاحِ ، ومن التَّأْسِيَةِ[٥] ما تَعلمُهُ مِنْ حَالِ مُخَاطِبِكَ وَهُوَ سَائِلُ الجِراح . وَمَا أَخْلَقَنِي[٦] بأَنْ أَقُولَ : إنَّ رُزْءَكَ هَذَا قَدْ زَادَنِي شَجَنًا عَلَى أَشْجَانِي[٧]، ونَكَأَ[٨] مَا تَمَاثَلَ[٩] مِنْ قَرْحَةِ أَحْزَانِي . وَلَكِنِّي قَدْ صَيَّرَنِي الدَّهْرُ إلى حالٍ لَا تَعْمَلُ فيها حال ، ولا أُبَالِي مَعَهَا بِسَلْمٍ ولا قِتَال ، فَكَأَنَّمَا إِيَّايَ عَنَى أَبُو الطَّيِّب حَيْثُ قال :

رَمَانِي الدَّهْرُ بالأَرْزَاءِ[١١] حَتَّى * فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ[١٢] مِن نِبَالِ[١٣]

فَصِرْتُ إذا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ * تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ[١٤]

---

(١) الرزيئة : المصيبة .

(٢) يريد أن من صاحب الزمان على حذر ولم يأمن له ، وإن طال أمد السلامة ، لم تعظم عليه المصيبة إذا حلت لأنها دائما داخلة فى حسابه .

(٣) الهبة بتشديد الباء المفتوحة : النهوض من النوم .

(٤) يريد بالكمنة السكون . (٥) مصاير الأمور : غاياتها .

(٦) التأسية : التصبير والتعزية . (٧) ما أخلقنى : ما أحقنى وأولانى .

(٨) الشجن بفتح الشين والجيم : الهم والحزن ، وجمعه أشجان .

(٩) نكأ القرحة : قشرها قبل أن تبرأ . (١٠) تماثل : قارب البرء .

(١١) الأرزاء : جمع رزء ، وهو المصيبة . (١٢) الغشاء : الغطاء .

(١٣) النبال : جمع نبلة ، وهى السهم .

(١٤) النصال : جمع نصل بفتح النون وسكون الصاد ، وهو حديدة السهم وطرفه .

وكتب إلى صديق له :

" مهما زدتنى من جميلك المألوف ، وصنيعك[1] المعروف . فما أزيدك على ما ينطق به لسان حالى من الاعتراف بتطولك[2] ، والثناء على تفضلك ، لا سيما فيما أبديت من الحفاوة[3] والتلطف فى جانب أخى وأخيك النازل فى كنف[4] تدبيرك ، الموكول إلى حسن رأيك . وهى يد[5] لك حملت جميلها على عاتقى[6] فوق ما أثقلته أياديك السابقة ، وألطافك[7] السالفة . وإنى لآمل له بمؤازرتك[8] نجحا لا يعترضه إخفاق مسعى ، وفوزا لا يصدر عنه[9] طيش رأى . وأسأل الله لك وله السلامة والتوفيق بمنه[10] وطوله[11] .

١٣ – مصطفى باشا كامل[12]

من خطبة له :

أيها السادة : إنكم باجتماعكم اليوم هذا الاجتماع الوطنى ترفعون كثيراً من مقام الوطنية المصرية ، وتخففون من آلام مصر العزيزة التى قاست وتقاسى أشد

(١) الصنيع : المكرمة . (٢) التطول : التفضل . (٣) الحفاوة بالرجل : إكرامه وإظهار السرور به . (٤) الكنف بفتح الكاف والنون : الظل والجانب . والمراد هنا : الرعاية . (٥) اليد : النعمة . (٦) العاتق : ما بين المنكب والعنق . (٧) الألطاف : جمع لطف ، بفتح اللام والطاء ، وهو الإحسان والإتحاف . (٨) المؤازرة : المعاونة . (٩) يصدر عنه : أى لا يكون منه . (١٠) المن : المنة . (١١) الطول : الفضل .

(١٢) خطيب وسياسى مصرى ، تعلم الحقوق واشتغل بالسياسة ، وانصرف إلى مقاومة الاحتلال الانجليزى بخطبه ومقالاته وكتبه . أنشأ جريدة اللواء وجريدتين أخريين : إحداهما بالفرنسية ، والأخرى بالانجليزية . وتنقل فى بلدان أوربا داعيا لمصر . وكان فصيحا مؤثرا فى كتابته وخطابته ، مات شابا سنة ١٣٢٦ هـ (سنة ١٩٠٨ م) .

العَذاب عَلى مَشهَدٍ منكُمْ يا أَعزَّ بنيها وَيا نُخبَـةَ أَنجابِها . فكلّ اجتماعٍ وطنيٍّ تُذْكَرُ فِيهِ مصْرُ ويطالَبُ بحقوقِهَا ، ويُعلِنُ أبناؤُهَا إخلاصَهمْ لهـا ، هو فى الحقيقة مَرْهَمٌ لِجرَاحِهَا ودواءٌ لدائها . فاذكُروها ما استطعتم ، فإنّ فى ذِكرَاها ذِكرىٰ آلامها ، وذِكرىٰ الآلام تجُرُّ حَتماً إلى ذِكرِ عَوامِلِ الشِّفَاء . اذكُروهَا كما يَذكر الولَدُ الحَنُونُ أمَّهُ الشَّفيقَة ، وهِيَ عَلَى سَرِيرِ المَرَض والعَنَاء . اذكُروها بآلامِها وإنْ كانَ غيرُكم يَذْكُرُ بِلادَهُ بِمَجْدِهَا وَرِفعَـةِ شَأنها . اذكُروهَا فإنَّكمْ ما دُمتُمْ مُقَـدِّرِين لمَصَائِبِهـا عارِفينَ بحَقِيقَةِ آلامِهَا ، دَامَ الأَمَلُ وَطيدًا (١) فِي سَـلامَتِها وَدَامَ الرَّجَاء . اذكُروها ، فَمِنَ المستحيل أن يَرَى العاقِلُ النارَ فِي دَارِه ، وَالداءَ فِي شَخص أمِّه ، وَيُهمِلُ النَّـار وَيُهمِلُ الدَّاء ... !

ثم قال : وهُناك فِئَـةٌ من المِصريينَ لا أُنكِرُ إخلاصَ رِجالهـا للوطنِ العزيز ، ولكِنْ أُنكِرُ عليهِمُ اليأسَ الذى يتظاهَرُونَ به فى كلِّ وَقتٍ وفى كلِّ مكان . فهم ماعَمِلُوا ولا يعمَلُونَ لِلبِلادِ عَمَلًا نافعا ، ولكنَّهمْ جَعلوا اليأسَ عِلَّةَ عَدَمِ العمل وَعِلَّةَ الكسَل ! فإن سَألتَهم : لِمَ لَا تَقُومُونَ بعملٍ عُمومىٍّ نافع للبـلاد؟ أَجابوك : « نحنُ يائِسُونَ مِن مُستَقبَلِ الوطَن ، معتقِدُونَ بظُلمَةِ الأيامِ الآتية » ! فبالله كَيفَ يَستطيعُ طبيبٌ أَن يَحكُمَ عَلَى عَليلٍ بعدمِ الشفاءِ قبل أن يَفحَصَ داءَه ويُعطِيَهُ الدواء ؟ عَلى أَننا نَرى الكثيرَ من الأطباءِ لَا ييأَسُ أبدًا من شِـفاءِ المرِيض حتى فى آخرِ لحظةٍ مِنْ حياته . فكيفَ ييأسُ رجالٌ من بنى مِصرَ من مستقبلِ البلاد؟ ! وهُم إنْ كانُوا قد خَبَرُوا داءَ مِصر ، فيعلمُ اللهُ ويعلمُ الناس أَنَّهُمْ الى اليومِ ما قَدَّمُوا لها الدَّوَاء !

(١) وطيدا : ثابتا قويا .

كيف نَيأَس منَ المستقبل ، وَالمستقبلُ بيَدِ الله وَحْدَه ، وكثيراً ما تأتِي الحوادثُ بخلافِ المُنتَظرِ وَبِغيرِ حِساب ؟

هي النفوسُ الصغيرةُ التي يُخْلَق عِندَها الأمَلُ بكلمةٍ أَوْ بتِلِغْرَاف ! ثم يستولِي عليها اليأسُ بِكلِمَةٍ أَوْ بتِلِغْرَاف ! أَمَّا النُّفوسُ العاليةُ الكبيرةُ فيدُومُ فيها الأَمَلُ ما دامَ الدمُ في العُرُوقِ وما دَامتِ الحياة .

وأَيُّ حَيَاةٍ تَرضاها النفوسُ الشريفةُ مع اليَأْس ؟ أَيجْمَعُ المرء في جِسْمٍ وَاحِدٍ ؟ الموتَ وَالحياة ؟ إذِ اليأْسُ مَوْتٌ حقيقيٌّ وأيُّ مَوْت !

كيف نَيْأَسُ ونحنُ جميعًا عَالِمُونَ بأنّ ما يَظْهَرُ طويلًا في حَيَاةِ الأَفرادِ هُوَ قصِيرٌ في حَياةِ الشعوب ، فعَشْرٌ من السَّنَوَاتِ في حياةِ الإنسانِ طَوِيلَةٌ حَقًا ، ولكنَّها في حَيَاةِ الأمةِ قصيرة جدًا ؛ على انه إذا كان اليائسونَ مُعتقِدِين بصحة أفكارِهم ، فعارٌ عليهم أن يقومُوا في الأمةِ بوظيفةِ تثبيط هِمَمِ الامِلِين ، والآمِلونَ في البلادِ كثيرون ؛ بل الأمّةُ كلُّها مُؤَمِّلَةٌ خَيرًا في المستقبل . وإن لم تَظْهرِ إلى الانَ أعمالُ الآمِلينَ فستظهرُ بعْدَ قليل ، وسترى الأمةُ المصريةُ وأُمَمُ العالَمِ أَجْمَعُ أَنَّ للوطنِ المصريِّ أَبْنَاءَ مُخلِصِينَ يُقَدِّرُونَ الْوَطَنِيَّةَ قَدْرَها ، ويعرِفون لِمِصْرَ حُقوقَها .

وَلَا غَرْوَ فإن سُبُلَ خِدْمَةِ الْوَطَنِ عَدِيدَة ، وَإن أَهَمَّها إعلانُ الحقيقةِ في كلِّ بلد وفي كلِّ زمان . فالحرّيةُ بنتُ الحقيقة ، وما انتَشَرت الحقيقةُ في أُمّةٍ إلا وارتفعتْ كلمتُها ، وعَلَا شأنُها . فالحقيقةُ نورٌ ساطعٌ إذا انتشر اختَفَى الظُلمُ والظّلمة ، وانتشرت الحُرّيةُ وَالعَدْل . فكما أن الأفرادَ لا تُسْلَبُ حُقُوقُهم ، ولا يَتعدّى

اللصوصُ على أمتعتِهِم إلَّا فى ظَلَامِ اللَّيلِ الحالِك ، فكذلك شأن الأمم ، لا تُسلَبُ حقوقُها ، ولا يَعتدِى العَــدُوُّ على أملاكِها إلَّا إذا كانَت الحقيقةُ مجهُولَةً فيهــا ، وكانت هى عائِشَةً فى الجَهلِ والظَّلَام .

ومن خطبة له ألقاها بالإسكندرية فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ م :

بِلَادِى ! بِلَادِى ! لَكِ حُبِّى وَفُؤَادِى ، لَكِ حَيَاتِى وَوُجُودِى ، لَكِ دَمِى وَنَفْسِى ، لَكِ عَقْلِى وَلِسَانِى ، لَكِ لُبِّى وَجَنَانِى ، فَأَنْتِ أَنْتِ الحَيَاةُ ، وَلَا حَيَاةَ إِلَّا بِكِ يَا مِصْر !

يَقُولُ الجُهَلَاءُ وَالفُقَرَاءُ فِى الإِدْرَاكِ إِنِّى مُتَهَوِّرٌ(١) فِى حُبِّهَا ، وَهَلْ يَسْتَطِيعُ مِصْرِىٌّ أَنْ يَتَهَوَّرَ فِى حُبِّ مِصْر ؟ إِنَّهُ مَهْمَا أَحَبَّهَا ، فَلَا يَبْلُغُ الدَّرَجَةَ الَّتِى يَدْعُو إِلَيْهَا جَمَالُهَــا وَجَلَالُهَــا وَتَارِيخُهَا ، وَالعَظَمَةُ اللَّائِقَةُ بِهَا .

أَلَا أَيُّهَــا اللَّائِمُون ! اُنْظُرُوهَا وَتَأَمَّلُوهَا ، وَطُوفُوهَا ، وَاقْرَأُوا صُحُفَ مَاضِيهَا ، وَاسْأَلُوا الزَّائِرِينَ لَهَا مِنْ أَطْرَافِ الأَرْض : هَلْ خَلَقَ اللهُ وَطَنًا أَعْلَى مَقَامًا ، وَأَسْمَى شَأْنًا ، وَأَجْمَــلَ طَبِيعَة ، وَأَجَلَّ آثَارًا ، وَأَغْنَى تُرْبَةً(٢) ، وَأَصْفَى سَمَاء ، وَأَعْذَبَ مَاء ، وَأَدْعَى لِلْحُبِّ وَالشَّغَفِ(٣) مِنْ هَذَا الوَطَنِ العَزِيز ؟

اسْأَلُوا العَالَمَ كُلَّه ، يُجِبْكُمْ بِصَوْتٍ وَاحِد : إِنَّ مِصْرَ جَنَّــةُ الدُّنْيَا ، وَإِنَّ شَعْبَهَا الَّذِى يَسْكُنُهَا وَيَتَوَارَثُهَا لَأَكْرَمُ الشُّــعُوبِ إِذَا أَعَزَّهَا ، وَأَكْبَرُهَا جِنَايَةً عَلَيْهَا وَعَلَى نَفْسِهِ إِذَا تَسَامَحَ فِى حَقِّهَا ، وَسَلَّمَ أَزِمَّتَهَا(٤) لِلأَجْنَبِىّ .

إِنِّى لَوْ لَمْ أُولَدْ مِصْرِيًّا لَوَدِدْتُ أَنْ أَكُونَ مِصْرِيًّا ؟

(١) التهوّر : الوقوع فى الأمور بغير مبالاة ، ويريد به هنا : التهالك والمبالغة والإفراط .

(٢) التربة : التراب ، ويراد بها الأرض وجودتها .

(٣) الشغف : شدة الحب وتمكنه .

(٤) الأزمة : جمع زمام ، وهو الحبل تقود به ، والمراد بأزمة مصر هنا : شؤونها العامة .

قَدْ يَرَى السُّفَهَاء والطَّائشُونَ أنَّ الانْتِسَابَ لشَعْبٍ مُسْتَعْبَدٍ كالشَّعْبِ الْمِصْرِيِّ مِمَّا لا يَلِيقُ بِإِنْسَانٍ ، وَلَكِنْ أَيُّ شَرَفٍ يَطْمَعُ فِيهِ الْحُرُّ أَكْبَرُ مِنَ الْعَمَلِ لإِحْيَاءِ الأُمَّةِ الَّتِي سَبَقَتِ الأُمَمَ كَافَّةً فِي الْعِلْمِ وَالْمَدَنِيَّةِ وَالأَدَبِ ؟ أَيُّ رِفْعَةٍ يَسْعَى الشَّرِيفُ إِلَيْهَا أَسْمَى مِنْ إِنْهَاضِ شَعْبٍ كَانَ أُسْتَاذَ الشعُوبِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَمُرَبِّيَ الْعَالَمِ كُلِّهِ ! أَيُّ سُؤْدُدٍ(١) تَرْمِي النُّفُوسُ الأَبِيَّةُ إِلَيْهِ أَعْلَى مِنْ إِخْرَاجِ الوَطَنِ الْمِصْرِيِّ من الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَإِحلالِهِ الْمَحَلَّ الأَوَّلَ بَيْنَ الأَوْطَانِ الأُخْرَى الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّجُنَّةِ(٢) الْحَالِكَةِ(٣) يَوْمَ كَانَتْ بِلادُنَا مَشْرِقًا لِلْعِرْفَانِ ؟

لَيْتَ شِعْرِي(٤) ! أَيُّ لَذَّةٍ وَسَعَادَةٍ وَمُكَافَأَةٍ يَطْلُبُهَا الْوَطَنِيُّ الْمِصْرِيُّ أَكْبَرُ مِنْ اشْتِرَاكِهِ فِي هَذَا الْعَمَلِ الْخَطِيرِ الَّذِي هُوَ أَجَلُّ عَمَلٍ يَرَاهُ الْعَالَمُ فِي الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ ؟

إِنَّ الْمَكْسَبَ الأَدَبِيَّ لِلْوَطَنِيِّ الْمِصْرِيِّ مِنْ هَذِهِ الْخِدْمَةِ يَرْبُو عَلَى أَتْعَابِهِ(٥) وَمَجْهُودَاتِهِ بِكَثِيرٍ .

١٤ — الشيخ أحمد مفتاح(٦)

كتب في التهادي :

الْهَدِيَّةُ (عَمَّرَكَ اللهُ بِالْمَعْرُوفِ) تَبْسُطُ يَدَ المَوَدَّةِ ، وَتُدِرُّ أَخْلَافَ الْقُرَبِ(٧) ، وَتَغْرِسُ بَيْنَ الْمُتَحَابَّيْنِ مِنَ الائْتِلَافِ ، بِقَدْرِ مَا تَقْطَعُ بَيْنَهُمَا مِنْ شَجَرِ الْخِلَافِ .

---

(١) السؤدد : الشرف والمجد . (٢) الدجنة : الظلمة . (٣) الحالكة : الشديدة الظلام .

(٤) ليت شعري : ليتني أشعر . (٥) أتعاب : جمع تعب . (٦) يتصل نسبه بالعرب ، نشأ بمصر ودرس بالأزهر ، وعنى بالأدب . ثم دخل دار العلوم حتى إذا خرج منها اشتغل في الصحافة والتدريس بدار العلوم . وكانت وفاته سنة ١٣٢٩ هـ . وله عدة مؤلفات ، وطريقته في الكتابة تخضع للسجع القصير مع القصد في استعمال البديع . (٧) الإدرار : الاكثار من اللبن . والأخلاف : جمع خلف ، وهو لذوات الخف كالثدي للانسان . والقرب : الصلات . والمعنى أن الهدايا تقوى صلة الأخ بأخيه .

وَمَا أَنَا فِيمَا أُهْدِيهِ إِلَيْـكَ إِلَّا كَمُسْتَبْضِعٍ تَمْرًا إِلَى أَرْضِ خَيْـبَر[١]، أَوْ كَالْوَاهِبِ الْمَـاءَ لِلْبَحْرِ، وَالضَّوْءَ لِلْبَـدْرِ، وَالْمُلْكَ لِسُلَيْمَان ، وَالْمَـالَ لِقَارُون، وَالْحِلْمَ لِأَحْنَف ، وَالذَّكَاءَ لِإِيَاس ، وَالتَّفْسِـيرَ لِابْنِ عَبَّـاس . وَمَا ذَاكَ إِلَّا كِتَابٌ كَمَا تَرَاهُ ضَرَبَ فِي الْإِحْكَامِ بِسَهْم، وَوَعَى مِنَ الْأَحْكَامِ مَا خَلَتْ مِنْهُ مُفْعَمَاتُ الْأَسْفَار، وَمُوجَزَاتُ الرَّسَائِل، فَهُوَ كَمَا قِيل : كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا :

تَزِينُ مَعَانِيـهِ أَلْفَاظَهُ * وَأَلْفَاظُهُ زَائِنَاتُ الْمَعَانِي

عَلَى أَنِّي وَإِنْ تَطَفَّلْتُ عَلَيْـك، وَسُقْتُ لَكَ هَذَا الْكِتَابَ مُزْدَلِفًا[٢] إِلَى جَنَابِكَ الرَّحْب، وَمَقَامِكَ الْأَسْنَى[٣] ، فَقَـدْ أَصَبْتُ كَبِدَ الصَّوَاب ، وَوَضَعْتُهُ حَيْثُ يَعْـرِفُهُ أَهْلُوه، وَيَتَقَبَّـلُهُ مِنْ بَاذِلِهِ عَالِمُوه، عِلْمًا بِأَنَّكَ عِمَادُ الْعُـلُوم، وَأَسَاسُ الْفَضَائِل ، لَا تُغَادِرُ شَارِدَةً إِلَّا وَعَيْتَهَا وَلَا نَادِرَةً إِلَّا رَوَيْتَهَا، وَإِلَّا :

لَوْ كَانَ يُهْدَى عَلَى قَدْرِي وَقَدْرِكُمُو * لَكُنْتُ أُهْدِي لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَـا

١٥ ــ الشيخ على يوسف[٤]

كتب تحت عنوان « لا تَعَصُّبَ فى مصر » .

التعصُّبُ بالمعنى المَعْرُوفِ فى الغَرْب عن أَهْلِ الشَّرْق ، و بعبارةٍ أخرى عِنْـدَ المسيحيينَ عن المُسْلِمين ، هو انْبِثَاثُ رُوحِ الْعِـدَاءِ والبَغْضَاءِ مِنَ الآخرين ضِـدَّ الأَوَّلين، انْبِثَاثًا يَحْمِلُ على الاعتِدَاءِ عليهم حِينًا بَعْدَ حِين .

---

(١) استبضع تمرا : حمله بضاعة — وأرض خيبر مشهورة بالتمر، وعنها يصدر . (٢) ازدلف إليه : تقرب . (٣) الأسنى : الأرفع . (٤) أصله من بلدة بلصفورة بجرجا ، نشأ نشأة دينية ، ودرس بالأزهر، ولكنه عنى بالأدب ، وخرج صحفيا بارعا ذا أسلوب قوى رائع ظهر فى « المؤيد » صحيفته المصرية الاسلامية . ونال منزلة سامية بقوة أسلوبه ، وشدة نفسه ، وذكاء جنانه . توفى سنة ١٣٣١ هـ .

التعصّبُ بهذا المعنى رَذيلةٌ من الرَّذائِلِ التى يَنْهى عنها الدِّينُ الإسلاميّ ، والقَوانينُ الاجتماعيّة ، وفى نَظرِ الأوربيينَ هو التَّوحُّشُ الذى يَفْتِكُ بنفوس الأبرياء كلّما ثارَ ثائِرُه . أَوْ هُوَ أَشْبَهُ بالغُولِ الكاشِرِ[1] الذى يَنْدَفِعُ بعَمايَةٍ فَيفْتَرِسُ كلَّ ما فى طَريقِهِ مِن نُفوسِ البَشَرِ .

التَّعَصُّبُ على هذا مَجْمُوعُ أرواحٍ شِرِّيرَةٍ لا نِظامَ لها فى ثَوَرانِها وعُدْوانِها ، نَعُوذُ باللهِ أن تُرْزَأَ أُمّةٌ بهذا البَلاءِ العَظِيمِ[2] .

قالوا إنّ المصريين مُتعصّبُون تعصُّبًا دِينيًا . ومَعْنَى هذا أَنَّهُم يَكْرَهُونَ المُخالفينَ لهم فى الدِّين كَراهَةً عَمْياء يَعْتَدُونَ عليهم بروحِ البَغْضاءِ المُتَناهِيَة ، كُلَّما سَنَحَتْ لهُمْ فُرْصَةُ الافْتِراس أَوِ اسْتَفَزَّهُمْ صائِحٌ .

فى البلادِ من قديمِ الزَّمانِ أديانٌ مُختَلِفة يَتَجاوَرُ أهلُوها فى المَنازِل ، ويَتَشارَكُونَ فى المَرافِقِ[3] ، ويتنافَسونَ فى الأَعْمال ، فلم تكُنْ بينَ المُسْلِمِينَ والأقباطِ تلك الرُّوحُ الشِّرِّيرَة . ولو كانت فى فِطْرَةِ المُسْلِمِينَ أَوْ فِطْرةِ الفريقَيْنِ لَلاشَتْ[4] الأكثريّةُ الأقليةَ فى عُصورٍ مَضَت ، وخُصوصًا فى عُصورٍ كانت الجَهالةُ فيها سائِدَة ، وكان بعضُ الحكّامِ من المماليكِ وغيرِهِم يَبْذُرون بُذُورَ البَغْضاءِ بين الفَريقَيْنِ لا لخدْمَةٍ دينيّةٍ إسلاميّة ، ولكنْ لأَغْراضٍ شَتَّى مَنْشَؤُها الشَّهَواتُ والمَطامِع . ولكنّ التواريخَ تدلُّ على أنّ الفريقَيْنِ عاشَا على الوِئامِ[5] والسلامِ فى كُلِّ الظُّرُوفِ أو أَكْثَرِها .

---

(١) الذى يكشر عن أنيابه .

(٢) ترزأ : تصاب .

(٣) المرافق : يريد شؤون المعاش .

(٤) أى أفنتها .

(٥) الوئام : الوفاق .

وَفَد على القُطْرِ المِصْرِىّ منذ أَوَّلِ عَهْدِ المرحومِ مُحَمَّد علىّ باشا الكبيرِ وُفودٌ مِنْ كُلِّ الطوائفِ المسيحيَّةِ، غربيَّةٍ وشرقيةٍ: مِنْ أَرْمَنَ وأَرْوَامٍ وسُورِيِّينَ وفرنساوِيِّينَ وطليانيين و إنكليزَ ونمساوِيين وأَمْرِيكانيِّين: من بُرُوتِسْتَانْتَ وكَاثُوليكَ وأُرْثُوذُكْسَ وَغَيْرِ ذَلِك : مِنْ عُلَمَاءٍ وتُجَّارٍ وصُنَّاعٍ وعَمَلَةٍ[1] وهَمَلٍ[2] مُتَشَرِّدِين، فَلَقِيَ الكلُّ في مصرَ صَدْرًا رَحِيبًا .

كان منهمُ الموظَّفُونَ فى كُلِّ مصلحةٍ حتى تولى نُوبَارُ باشا رِئَاسةَ النُّظَّارِ فى مِصْر، وكان قائمقام خديو، ورئيسَ الاحتفالِ بموكبِ المَحْمَلِ الشريف، فهل يوجدُ فى أُمَّةٍ غيرِ الأمةِ المِصْرِيَّةِ المُسْلِمَةِ مثلُ هذا التساهُلِ فيرأسَ احتفالاً دينيًا مسيحيًّا مُسلمٌ أَوْ غيرُ مسيحيّ ؟

وكان من علمائِهم[3] الأساتذةُ والمعلمونَ ونُظَّارُ المدارسِ والمُكْتَشِفُون ، فهل الأمةُ التى تُرَبِّى أَبْنَاءَها على أيدى الأساتذةِ من غَيْرِ دِينِهَا . تُعَدُّ مُتَعَصِّبَةً ؟؟ وكان التُّجَّارُ على ما يُحِبُّونَ من الرُّحْبِ والسَّعَة وحُسْنِ القَبول، فضَرَبُوا فى البلاد بمَتَاجِرِهِمْ مِنْ غَثٍّ وسَمِين، وجَيِّدٍ ورَدِىء، وخَالِصٍ ومَغْشُوش ، حتى صارتْ مصرُ من أوسعِ اسواقِ مَتاجِرِ أوربا ومعاملِها التى وَجدت إقْبالاً من الأمةِ هائلا[4] .

وهؤلاء بعضُ الأجانبِ يُقيمونَ الأكواخَ الصَّغيرَةَ الحقيرةَ لِبَيْعِ الخمورِ الرديئةِ فِى كُلِّ قريةٍ من قُرَى القُطْر، مهما سَحَقَتْ[5] وَقَلَّ عَدَدُها ، أَوْ يُرَبُّونَ الخنازيرَ

(١) عملة : جمع عامل . (٢) الهمل : من لا عمل لهم ولا رياسة عليهم .
(٣) أى من العلماء غير المسلمين . (٤) الهائل : يريد بها هنا : العظيم، أو الكبير . وأصلها : من هال يهول : إذا راع وأفزع ، وكأن الاقبال لعظمه يهول ويروع . (٥) سحقت : بعدت .

وَيُثْرُونَ شَيْئًا فَشَيْئًا حتى يكونَ الصعلوكُ مِنهم فِي بِضْعِ سَنَوَاتٍ صاحبَ القَرْيَةِ وَمَزَارِعِهَا ومُدَايِنَ أَهْلِيهَا وَسَيِّدَهُم ، فهل هؤلاءِ هُمُ المتعصبونَ الذين يُخْشَى مِنْ شَرِّهِم فى وادِى النيلِ عَلَى الأوربيين ؟

١٦ — كتب المرحوم الشيخ حمزة فتح الله (١)

الى بعض الأفاضل يطلب ودّه

كما أَنَّ شَغَفَ الجَنَانِ (٢) ، بالحُسْنِ وَالإِحْسَانِ (٣)، تكون دَاعِيَتُهُ المُشَاهَدَةَ وتَسْرِيحَ الأَنْظَارِ فِى مُحَيَّا (٤) الكَمَالِ ، وَمُجْتَلَى (٥) الجَمَالِ . فَتَرَى العَيْنَ مِنْ تِلْكَ الغُرَّةِ (٦) مَا يَمْلَؤُهَا قُرَّةً (٧)، فكَذَلِكَ السَّمَاعُ يَسْتَدْعِى هَذَا الشَّغَفَ، فَيَتَأَثَّرُ الفُؤَادُ بما يُشَنِّفُ (٨) الأُذُنَ مِمَّا تُهْدِيهِ إِلَيْهِ طَرَائِفُ (٩) الأَخْبَارِ ، حَتَّى كَأَنَّ حَاسَّتَى السَّمْعِ وَالبَصَرِ فى ذَلِكَ صِنْوَانِ (١٠) ، بل أَخَوَانِ، فى هَيكَلِ هذا الجُثْمَانِ (١١) .

* * *

أَلَا وَإِنَّ مَحَاسِنَ السَّيِّدِ الأَجَلِّ لَمَا سَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ، وَأَثْنَى عَلَيْهَا كُلُّ لِسَانٍ ، ما بَيْنَ أَخْلَاقٍ أَبْهَى مِنَ الرَّوْضِ النَّضِيرِ (١٢) ، وَأَعْرَاقٍ (١٣) أَشْهَى من عَذْبِ النَّمِيرِ (١٤) .

(١) ولد بالإسكندرية ودرس بالأزهر وأجاد اللغة ونحوها ، واشتغل بالصحافة فى تونس ومصر ، ثم مدرّسا ومفتشا بالمعارف ، وقد توفى سنة ١٩١٨ م . (٢) الشغف : شدّة الحب . (٣) الجنان بالفتح : القلب . (٤) المحيا بضم الميم وتشديد الياء : الوجه . (٥) مجتلاه : منظره . (٦) الغرة : الوجه . (٧) قرت العين : جف دمعها وبردت من السرور . والاسم منه القرة بضم القاف . (٨) يشنف الأذن : يطربها وأصله من لبس الشنف وهو القرط . (٩) الطرائف : الأحاديث المستملحة . (١٠) الصنوان : الأخوان الشقيقان . (١١) الجثمان بضم الجيم : الجسم . (١٢) النضير : الحسن . (١٣) الأعراق هنا : بمعنى الطباع والصفات . (١٤) النمير : الكثير من الماء .

قَد احتلَّتْ من فُؤَادى لَا أَقُولُ مَنزِلًا رَحيبا ، وَلَا وَادِيًا خَصِيبا . بل مَنْزِلَةً شَمَّاء[1]، ودَارَةً[2] علْيَاء . وأَوجًا[3] بطَوالِعهَا السَّعِيدَةِ يَسْعَد، وَيَلُوحُ بِهَا مِن ذِكْرَاهُ كُلَّ حِينٍ فَرْقَد[4] . فَلَمْ أَنْشَبْ[5] أَنْ قَدَّمْتُ كِتَابِى هَـذا لِمَوْلَاىَ بَيْنَ يَدَى اللِّقَاءِ عَلَّهُ أَنْ يَسْمَحَ بِهِ الزَّمَان ، وتُشْعِرَ[6] عَنْهُ اللَّيَالِى والأيام، لِيُتَاحَ[7] لِى رَىَّ الفُؤَاد بمَا أَرْوِيهِ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ الخَيْلِ الَّذِى سَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدَ الخَيْر، وَقَالَ لَهُ : مَا وُصِفَ لِى أَحَدٌ فَرَأَيْتُـهُ إِلَّا وَجَدْتُهُ دُونَ مَا وُصِفَ لِى سِوَاك ، وَإِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ (الحِلْمُ وَالأَنَاة[8]) مُقْتَدِيًا بالإمامِ مَحْمُودٍ جَارِ اللهِ[9] فِى تَقْدِيم هَـذَا الحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَلَى مَا أَنْشَدَهُ إِيَّاهُ الشَّرِيفُ ابْنُ الشَّجَرِىّ أَوَّلَ مَا لَقِيَه، وَكَانَا قَدْ تَحَابَّا بالسَّمَاع :

كَانَتْ مُسَاءَلَةُ الرُّكْبَانِ تُخْبِرُنَا ✱ عَنْ جَابِرِ بْنِ رَبَاحٍ أَطْيَبَ الخَبَرِ

حَتَّى اجْتَمَعْنا فَلَا وَاللهِ مَا سَمِعَتْ ✱ أُذْنِى بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصَرِى

١٧ – المرحوم حفنى بك ناصف[10]

كتب إلى الفاضل السيد توفيق البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية :

كِتَابِى إلى السَّيِّدِ السَّنَدِ وَلَا أُجَشِّمُهُ[11] الجَوَابَ عَنْه ، فَذَلِكَ مَا لَا أَنْتَظِرُهُ مِنْه؛ وَإِنَّمَا أَسْأَلُهُ أَنْ يَنْشَطَ إِلَى قِرَاءَتِه ، وَيَتَنَزَّلَ إِلَى مُطَالَعَتِه ، وَلَهُ الرَّأْىُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ وَيُزَكِّيهَا، وَيَحْكُمَ عَلَيْهَا أَوْ لَهَا .

---

(١) شماء : عالية . (٢) الدارة : الدار، ويريد بها المكانة . (٣) الأوج : العلو . (٤) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى، وهما فرقدان . (٥) لم أنشب : لم ألبث . (٦) تشعر : تكشف . (٧) يتاح لى : يتهيأ لى . (٨) الأناة : الوقار والحلم . (٩) هو الإمام الزمخشرى العالم المفسر المشهور . (١٠) اقرأ ترجمته فى شعره . (١١) جشمه الأمر : كلفه إياه .

فَقَدْ تَنْفَعُ الذِّكْرَى إذَا كَانَ هَجْرُهُمْ * دَلالًا، فَأَمَّا إنْ مَلالًا فَلا نَفْعَا

زُرْتُ السَّيِّد، وَيَعْلَمُ اللهُ أَنَّ شَوْقِي إِلَى لِقَائِه، كَحِرْصِي عَلَى بَقَائِه، وَكَلَفِي (١) بِشُهُودِه (٢)، كَشَغَفِي (٣) بِوُجُوده؛ فَقَدْ بَعُدَ وَاللهِ عَهْدُ التَّلَاق، وَطَالَ أَمَدُ الفِرَاق، وَتَصَرَّمَ الزَّمَان (٤)، وَأَنَا مِنْ رُؤْيَتِهِ فِي حِرْمَان، فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ خَرَجَ لِتَشْيِيعِ (٥) زَائِر، وَهُوَ عَمَّا قَلِيلٍ حَاضِر فَانْتَظَرْتُ رُجُوعَه، وَتَرَقَّبْتُ طُلُوعَه. وَلَمْ أَزَلْ أَعُدُّ اللَّحَظَات، وَأَسْتَطِيلُ الأَوْقَات، حَتَّى بَزَغَتِ الأَنْوَار، وَارْتَجَّ صَحْنُ الدَّار (٦)، وَظَهَرَ الاسْتِبْشَارُ عَلَى وُجُوهِ الزُّوَّار. وَجَاءَ السَّيِّدُ فِي مَوْكِبِه، وَجَلَالَةِ مَحْتِدِه (٧) وَمَنْصِبِه، فَقُمْنَا لِاسْتِقْبَالِه، وَهَيْنَمْنَا (٨) بِكَمَالِه. فَمَرَّ يَتَعَرَّفُ وُجُوهَ القَوْمِ حَتَّى حَاذَانِي، وَكَبُرَ عَلَى عَيْنِهِ أَنْ تَرَانِي، فَغَادَرَنِي وَمَنْ عَلَى يَسَارِي، وَأَخَذَ فِي السَّلَامِ عَلَى جَارِي، وَجَرَّ السَّلَامُ الكَلَام، وَتَكَرَّرَ القُعُودُ وَالقِيَام، وَأَنَا فِي هٰذِهِ الحَالِ أُوهِمُ جَارِي، أَنِّي فِي دَارِي، وَأُظْهِرُ لِلنَّاسِ أَنَّ شِدَّةَ الأُلْفَة، تُسْقِطُ الكُلْفَة؛ وَمَرَّ السَّيِّدُ بَعْدَ ذٰلِكَ مِنْ أَمَامِي ثَلَاثَ مَرَّات، وَمِنَ الغَرِيبِ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَدْرِكْ مَا فَات، وَأَغْرَبُ مِنْهُ أَنَّهُ اسْتَخْلَصَ لِنَفْسِهِ مِنَ المَجْلِسِ أَرْبَعَة؛ وَدَعَاهُمْ إِلَى الحُجْرَةِ فَدَخَلُوا مَعَه، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا القِيَام، وَالإِمْسَاكُ عَنِ الكَلَام.

تَمُرُّونَ الدِّيَارَ وَلَمْ تَعُوجُوا (٩) * كَلَامُكُمُو عَلَيَّ إِذَنْ حَرَامُ

(١) الكلف بفتحتين: الحب الشديد.
(٢) شهوده: رؤيته.
(٣) الشغف: كالكلف.
(٤) تصرم الزمان: انقضى.
(٥) تشييعه: توديعه.
(٦) صحن الدار: ساحتها.
(٧) المحتد: الأصل.
(٨) الهينمة: الصوت الخفى.
(٩) عاج: مال. أى لم تميلوا إلى.

وكُنْتُ أَظُن أَنَّ مكانتي عند السَّيِّد لا تُنْكر، وأَنْ عَهدى لديْه لا يُخْفَر (١)؛ فاذَا أَنا لستُ في العِير ولا في النَّفِير (٢)، وغيري عند السَّيِّد كثير، وذهاب صاحبٍ أو أكثر عليه يسير.

وَمَنْ مَدَّت العَلْيا إِلَيْه يمينَها * فأَكْبرُ إِنسانٍ لديْه صَغيرُ

ولا أَدَّعى أَنِّي أُوازِي السَّيِّد (صانَه الله) في عُلوِّ حَسبه، وأُدانيه في علمه وأَدبه، أو أُقاربُه في مَناصبه ورُتَبه، أو أُكاثره (٣) في فضَّته وذهبه؛ وإِنما أقولُ ينبغي للسَّيِّد أَنْ يميِّز بين مَنْ يَزوره لِسماع الأَغاني والأَذكار، وشُهود الأَواني على مائدة الإِفطار، وبين مَنْ يزوره للسَّلام، وتأبيد جامعة الإسْلام، وأَنْ يفرق بين من يتردَّد عليه استخلاصًا للخِلاص (٤)، ومَنْ يتردَّد إِجابةً لدعوة الإِخلاص. وأَلَّا يشْتبه عليه طُلَّابُ الفوائِد، بطُلَّاب العوائِد (٥)، وقُنَّاصُ الشَّوارِد (٦)، بنُقباء الموالد، وروَّاد الطُّرَف (٧)، بأَرباب الحِرَف.

فما كلُّ مَنْ لاقيتَ صاحبَ حاجةٍ * ولا كُلُّ مَنْ قابلْتَ سائِلكَ العُرْفَا (٨)

فإِنْ حَسُن عند السَّيِّد أَنْ يُغْضِيَ عَنْ بعض الأَجناس، فلا يَحسن أَنْ يُغضِيَ عَنْ جَميع النَّاس.

وَلا أَرُومُ بحمد الله منْزلةً * غيري أَحَقُّ بها منِّي إذا رَامَا

(١) خفر عهده : نقضه . (٢) يقال : هو لا فى العير ولا فى النفير ؛ أى إنه لا قيمة له ولا يحسب له أى حساب . (٣) كاثره : فاخره بكثرة المال . (٤) الخلاص بكسر الخاء : ما انتفى عنه الغش من الذهب أو الفضة أو الزبد . والمراد به هنا ما يقدم من الصدقة ونحوها .

(٥) العوائد : جمع عائدة وهى المنفعة . (٦) يريد بالشوارد غرائب اللغة ونوادر الأدب .

(٧) الطرف بضم الطاء وفتح الراء : جمع طرفة بضم الطاء ، وهى الجديد الحسن المتخير .

(٨) العرف : الجود والمعروف .

وَ إنما أَصُونُ نَفْسِي عَنِ الْمَهَانَةِ وَالضَّعة، وَلَا أُعَرِّضُهَا لِلضِّيقِ وَفِي الدُّنْيَا سَعَة.

وَأُكْرِمُ نَفْسِي إنَّنِي إنْ أَهَنْتُهَا * وَحَقِّكَ لَمْ تَكْرُمْ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي

فَلَا يُصَعِّرِ السَّيِّدُ مِن خَدِّه[1]، فَقَدْ رَضِيتُ بِمَا أَلْزَمَنِي مِن بُعْدِه، وَلَا يَغُضَّ[2] مِن عَيْنِه، فَهَـذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِه، وَلْيَتَّخِذْنِي صَاحِبًا مِن بَعِيد، وَلَا يُكَلِّمْنِي إِلَى يَوْمِ الْوَعِيد[3].

كِلَانَا غَنِيٌّ عَن أَخِيهِ حَيَاتَهُ * وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا

وَمِنِّي عَلَى السَّيِّدِ السَّلَام، عَلَى الدَّوَام، وَمُبَارَكٌ إِذَا لَبِسَ جَدِيدا، وَكُلَّ عَامٍ وهُوَ بِخَيْرٍ إِذَا اسْتَقْبَلَ عِيدا، وَمَرْحَى[4] إِذَا أَصَاب، وَشَيَّعَتْهُ السَّلَامَةُ إِذَا غَاب، وَقُدُومًا مُبَارَكًا إِذَا آب، وَبِالرِّفَاءِ وَالْبَنِين[5] إِذَا أَعْرَس[6]، وَبِالطَّالِعِ الْمَسْعُودِ إِذَا أَنْجَب[7]، وَرَحِمَهُ اللهُ إِذَا عَطَس، وَنَوْمَ الْعَافِيَةِ إِذَا نَعَس، وَصَحَّ نَوْمُهُ إِذَا اسْتَيْقَظ، وَهَنِيئًا إِذَا شَرِب، وَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ إِذَا رَكِب، وَنَعِمَ صَبَاحُه إذا انْفَجَرَ الْفَجْر، وَسَعِدَ مَسَاؤُه إِذَا أَذَّنَ الْعَصْر، وَبَخٍ بَخٍ[8] إذا نَثَر[9]، ولَا فُضَّ فُوهُ[10] إذا شَعَر[11]، وَأَجَادَ وَأَفَادَ إذا خَطَب، وَأَطْرَبَ وَأَغْرَبَ إِذَا كَتَب، وَإِذَا حَجَّ الْبَيْتَ فَحَجًّا مَبْرُورا، وَإذا شَيَّعَ جَنَازَتِي فَسَعْيًا مَشْكُورا.

---

(١) صعر الرجل خدّه: أماله كبرا وتيها. (٢) يغض عينه: يغمضها.

(٣) يوم الوعيد: يوم القيامة. (٤) مرحى بفتح الميم وسكون الراء وفتح الحاء: كلمة تقال مدحا لمن يصيب الرمية. (٥) بالرفاء والبنين: دعوة لمن يتزوج بالالتئام واستيلاد الأولاد.

(٦) أعرس: تزوج. (٧) أنجب: ولد له ولد. (٨) بخ بخ: كلمة تقال عند استحسان الشيء والاعجاب به. (٩) نثر: أرسل القول منثورا. (١٠) لا فض فوه: لا خلا من أسنانه. دعوة توجه لمن يجيد القول. (١١) شعر: قال الشعر.

وكتب إلى الشيخ على الليثى رحمهما الله يشكره على هدية عنب :

وَصَلَ يا مَوْلَاىَ إلى هٰذَا الطَّرَف، مَا خَصَصْتَ بِهِ العَبْدَ من الطُّرَف «قَفَصٌ»(١) من عِنَب كَاللُّؤْلُؤِ فى الصَّدَف ، تَتَأَلَّقُ عَنَاقِيدُهُ كَأَنَّهَا من صِنَاعَةِ « النَّجَف »(٢) وَلَعَمْرُ الحَقِّ(٣) إِنَّهَا تُحْفَةٌ من أَحْلَى التُّحَف، لَا يُعْثَرُ عَلَى مِثْلِهَا إِلَّا بِطَرِيقِ « الصُّدَف » . فَقَابَلْنَاهُ لَثْمًا بالأَفْوَاه، وَرَشْفًا بالشِّفَاه . وَاحْتَفَيْنَا(٤) بِقُدُومِهِ كُلَّ الاِحْتِفَاء، وَلَمْ تَفْرُطْ فِى حُبِّهِ عِنْدَ اللِّقَاء . بَلْ حَلَلْنَا لَهُ الحُبَى(٥)، وَقُلْنَا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا . وَأَوْسَعْنَاهُ عَضًا وَلَثْمًا ، وَتَنَاوَلْنَاهُ تَجْمِيشًا(٦) وَضَمًّا وَحَفِظْنَا فِى صُدُورِنَا سِرَّهُ المَكْنُون، وَطَوَيْنَاهُ فِى غُضُونِ البُطُون . فَطَرِبْتُ مِنْ تَعَاطِيهِ الأَرْوَاح، وَلَا غَرْوَ(٧) فَهُوَ أَصْلُ الرَّاح(٨) . وَانْتَشَيْنَا(٩) وَلَمْ نَحْمِلْ وِزْرًا، وَثَمِلْنَا(١٠) وَلَمْ نَذُقْ طَعْمًا مُرًّا . فَهُوَ كَبَيَانِ مُهْدِيهِ سِحْرٌ وَلَكِنَّهُ حَلَال، وَلَعِبٌ إِلَّا أَنَّهُ كَمَال .

*
* *

وَكَانَ الأَحْرَى بِهٰذَا العِنَبِ أَنْ يُنَاطَ(١١) بالنُّحُور، أَوْ تُزَيَّنَ بِهِ الصُّدُور . فَمَا هُوَ إِلَّا اللُّؤْلُؤُ وَلٰكِنَّهُ سَلِمَ مِنْ سِجْنِ البِحَار، وَمَا هُوَ إِلَّا الدُّرُّ لَكِنْ لَيْسَ فِيهِ صُغَار(١٢) .

وَمَنْ كُنْتَ بَحْرًا لَهُ يَا عَلِـ * ـىُّ لَا يَلْقُطُ الدُّرَّ إِلَّا كُبَارَا(١٣)

---

(١) يريد بالطرف : التحف . (٢) النجف كلمة مولدة . (٣) لعمر الحق : قسم بالحق .

(٤) احتفى به احتفاء : أكرمه وأظهر السرور به . (٥) يقال فلان ممن تحل له الحبى : أى يقابل بالإجلال والإعظام . والحبى : جمع حبوة وهى مايجمع به بين الظهر والساق من حبل ونحوه .

(٦) جمشه تجميشا : قرصه ولاعبه . (٧) لا غرو ، لا عجب .

(٨) الراح : من أسماء الخمر . (٩) انتشى : سكر .

(١٠) ثمل : سكر . (١١) يناط : يعلق .

(١٢) الصغار بضم الصاد : الصغير . (١٣) الكبار بضم الكاف : الكبير .

وَمَا ضَرَّهُ أَنْ ضَمَّهُ الْقَفَص، (حِصَّةً مِنَ الحِصَص) [١] فإنَّ كَرِيمَ الطَّيْرِ يُودَعُ فى الْأَقْفَاص، وَالْقَلْبُ لَيْسَ لَهُ مِن حَنَايَا الضُّلُوعِ خَلَاص. فلا بِدْعَ أَنْ تُسْتَقَلَّ فى حَبَّاتِهِ حَبَّاتُ الْقُلُوب، وَيُسْتَمْلَحَ فِى جَنْبِ حَلَاوَتِهِ رُضَابُ [٢] الْمَحْبُوب. وَكَأَنَّ الثُّرَيَّا لَمَّا أَخَذَتْ شَكْلَه، فَغَرَ [٣] الْهِلَالُ فَاهُ لِعَنْقُودِهَا يُرِيدُ أَكْلَه، فَهُوَ يُطَارِدُهَا فِى السَّمَاء، وَيَأْخُذُ عَلَيْهَا الطَّرِيقَ مِن الْوَرَاء. وَهِىَ تَجْرِى مِنَ الأَمَام، مَخَافَةَ الالْتِهَام. هَذَا لِمُجَرَّدِ تَشَابُهٍ فِى الشَّكْلِ فَكَيْفَ بِالثُّرَيَّا، لَوْ أَشْبَهَتْهُ حَلاوَةً وَرِيًّا [٤]. فَلِلَّهِ تِلْكَ الْعَنَاقِيدُ مَا أَشَدَّ تَأَلُّقَهَا [٥]، وَأَصْفَى مَاءَهَا وَأَحْسَنَ رَوْنَقَهَا. مِنْ كُلِّ عُنْقُودٍ تَخَالُهُ عَمُودَ الصُّبْحِ [٦] أَحَاطَتْ بِهِ الدَّرَارِى، أَوْ غُصْنَ الْبَانِ [٧] تَعَلَّقَتْ بِهِ الْقَمَارِى [٨].

وكتب يعزِّى كبيرًا (لعله الشيخ على يوسف رحمه الله فى ولده):

خَفَّفَ اللهُ لَوْعَتَك [٩]، وَأَرْقَأَ دَمْعَتَك [١٠]، وَجَنَّبَكَ الْجَزَع [١١]، وَوَقَاكَ الْهَلَع [١٢]. وَأَلْهَمَكَ الصَّبْر، وَأَجْزَلَ لَكَ الْأَجْر وَرَزَقَكَ مِن الْبَنِين، فِى مُسْتَقْبَلِ السِّنِين، مَا تَقَرُّ [١٣] بِهِ عَيْنَاك، وَيَقْوَى بِهِ عَنَاك [١٤]، وَأَنْتَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِى قُوَّةٍ وَبَقِيَّةٍ مِنَ الْفُتُوَّة [١٥] تُمَكِّنُكَ مِنَ الْأُبُوَّة، لِخَيْرِ الْبُنُوَّة. عَلَى أَنَّ لَكَ فِى عَالَمِ السِّيَاسَة، وَضُرُوبِ الْكِيَاسَة [١٦]،

---

(١) الحصة فى الأصل: النصيب، واستعملها المحدثون فى معنى الفترة من الزمن. يريد: وقتا من الأوقات. (٢) الرضاب بضم الراء: الريق. (٣) فغر فاه: فتحه.

(٤) الرى بالكسر: الشبع من الماء. (٥) تألقها: بريقها. (٦) عمود الصبح: ضوؤه.

(٧) البان: شجر يضرب المثل بأغصانه فى اعتدال القوام. (٨) القمارى بفتح القاف وكسر الراء: جمع قرى بضم القاف، وهو نوع من الحمام حسن الصوت. (٩) اللوعة: حرقة الحزن.

(١٠) أرقأ دمعته: جففها. (١١) الجزع: أشد الحزن. (١٢) الهلع: الجزع من المصيبة. (١٣) قرت العين: بردت من السرور. (١٤) العنا: الجانب.

(١٥) الفتوة: قوة الشباب. (١٦) الكياسة: الفطنة وصحة الرأى.

فِى هَذِهِ الْبِلَادِ، أَلْوَانًا مِنَ الْأَوْلَادِ ، وآثَارًا كُبْرَى ، تَضْمَن لَكَ الذِّكْرَى ، وَتَجْعَلُ لَكَ عَلَى مَدَى السِّنِين ، لِسَانَ صِدْقٍ فى الآخِرِين . والسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ الله .

١٨ – السيد مصطفى لطفى المنفلوطى (١)

نفس الشاعر

"قطعة من رواية الشاعر ، يخاطب فيها سيرانو
لبريه الذى ينصحه بحسن السياسة والمداراة"

أَتُرِيدُ أَنْ أَعْتَمِدَ فِى حَيَاتِى عَلَى غَيْرِى ، وَأَنْ أَضَعَ زِمَامَ نَفْسِى فِى يَدِ عَظِيمٍ مِنَ الْعُظَمَاء ، أَوْ نَبِيلٍ مِنَ النُّبَلَاء ، يَصْطَنِعُنِى وَيَجْتَبِينِى (٢) ، وَيَكْفِينِى مُؤُونَةَ عَيْشِى ، وَيَحْمِلُ عَنِّى هُمُومَ الْحَيَاةِ وَأَثْقَالَهَا ، فَيَكُون مَثَلِى مَثَلَ شَجَرَةِ « اللَّبْلَابِ » لَا عَمَلَ لَهَا فِى حَيَاتِهَا سِوَى أَنْ تَلْتَفَّ بِأَحَدِ الْجُذُوعِ تَلْعَقُ (٣) قِشْرَتَه ، وَتَمْتَصُّ مَادَّةَ حَيَاتِه ، بَدَلًا مِنْ أَنْ تَعْتَمِدَ فى حَيَاتِهَا عَلَى نَفْسِها ؟

ذَلِكَ مَا لَا يَكُون !

أَتُرِيدُ أَنْ أَحْمِلَ نَفْسِى عَلَى عَاتِقِى ، كَمَا يَحْمِلُ الدَّلَّالُ سِلْعَتَه ، وَأَدُورَ بِهَا فِى الأَسْوَاقِ مُنَادِيًا عَلَيْهَا : مَنْ مِنْكُمْ أَيُّهَا الأَغْنِيَاءُ وَالأَثْرِيَاء (٤) ، وَالْوُزَرَاءُ وَالْعُظَمَاء ، وَأَصْحَابُ الْجَاهِ وَالسُّلْطَان ، يَبْتَاعُ نَفْسًا بِذِمَّتِهَا وَضَمِيرِها ، وَعَوَاطِفِهَا وَمَشَاعِرِها ، بِلُقْمَةِ عَيْش ، وَجُرْعَةِ مَاء ؟ !

---

(١) نشأ السيد المنفلوطى بمنفلوط وتعلم بالأزهر ، واشتغل محررا بالمؤيد ، ثم اتصل بالمرحوم سعد باشا زغلول ، فألحقه بالمعارف ثم الحقانية . وكان كاتبا رقيق القول محكم النسج ، يجيد تصوير الشعور الحزين . وله شعر قليل . توفى سنة ١٣٤٣ هـ . تاركا آثارا قلمية جميلة . (٢) يجتبينى : يختارنى (٣) لعق الشىء : أخذه بطرف لسانه . (٤) الأثرياء : جمع ثرى ، وهو من عنده مال كثير .

أَتُرِيدُ أَنْ تَسْتَحِيلَ قَامَتِي إِلَى قَوْسٍ مِنْ كَثْرَةِ الانْحِنَاء، وَأَنْ تَتَهَدَّلَ أَجْفَانِي مِنْ كَثْرَةِ الإِطْرَاقِ وَالإِغْضَاء، وَأَنْ تَجْتَمِعَ فَوْقَ رُكْبَتِي طَبَقَةٌ سَمِيكَةٌ مِنْ كَثْرَةِ السُّجُودِ والجُثُوِّ (١) بين أَيْدِي الْعُظَمَاء؟ !

أَتُرِيدُ أَنْ يَكُونَ لِي لِسَانَان: لِسَانٌ كَاذِبٌ أَمْدَحُ بِهِ ذَلِكَ الَّذِي صَنَعَنِي وَاجْتَبَانِي؛ وَلِسَانٌ أَعَدِّدُ بِهِ عُيُوبَهُ وَسَيِّئَاتِه. وَأَنْ يَكُونَ لِي وَجْهَان: وَجْهٌ رَاضٍ عَنه، لِأَنَّه يَذُودُ عَنِّي وَيَحْمِينِي، وَوَجْهٌ سَاخِطٌ عَلَيْه، لِأَنَّه يَسْتَعْبِدُنِي وَيَسْتَرِقُّنِي ؟ !

ذَلِكَ مَا لَا يَكُون !

أُرِيدُ أَنْ أَعِيشَ حُرًّا طَلِيقا، أَضْحَكُ كما أَشَاء، وَأَبْكِي كما أريد، وأَحْتَفِظُ بِنَظَرِي سَلِيما، وَصَوْتِي رَنَّانا، وَخَطَوَاتِي مُنْتَظِمَة، وَرَأْسِي مَرْفُوعا، وَقَوْلِي صَرِيحا، أَنظِمُ الشِّعْرَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَخْتَارُها، وفي الشَّأْنِ الَّذِي أُرِيدُه. فإِنْ أَعْجَبَنِي مَا وَرَدَ عَلَيَّ مِنْهُ فَذَاك، وَإِلَّا تَرَكْتُهُ غيرَ آسِفٍ عَلَيْه، وَأَخَذْتُ فِي نَظْمِ غَيْرِه، بَدَلًا مِنْ أَنْ أَتَوَسَّلَ الَى الطَّابِعِينَ أَنْ يَنْشُرُوه، وَالأُدَبَاءِ أَنْ يُقَرِّظُوه، وَالمُمَثِّلِينَ أَنْ يُمَثِّلُوه، وَالْعُظَمَاءِ أَنْ يُنَوِّهُوا بِهِ وَيَرْفَعُوا مِنْ شَأْنِه !

أُرِيدُ أَنْ أَعِيشَ حُرًّا طَلِيقا، أُنَاضِلُ (٢) مَنْ أَشَاء، وَأُجَادِلُ مَنْ أَشَاء، وَأَنْتَقِدُ مَنْ أَشَاء. وَأَنْ أَقُولَ كَلِمَتِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ لِلأَخْيَارِ وَالأَشْرَارِ فِي وُجُوهِهِم، لَا مُتَمَلِّقًا أُولَئِك، وَلَا خَاشِيًا هَؤُلَاء !

---

(١) جثا الرجل يجثو جثوا : جلس على ركبتيه .

(٢) أناضل : أدافع وأغالب .

وكتب أيضًا :

الشاعـــــر

إنّما يشقى في هذا العالم أحدُ ثلاثة : حاسدٌ يتألّم لمنظر النعم التي يُسبغها الله على عباده، ونِعمُ الله لا تنفد ولا تفنى . وطمّاعٌ لا يستريح إلى غاية من الغايات حتى تنبعث نفسه وراء غاية غيرها، فلا تفنى مطامعه، ولا تنتهي متاعبه . ومقترفٍ جريمةً من جرائم العِرض والشرف، لا يفارقه خيالها حيثما حلّ وأينما سار . وما أنت ياسيّدي بواحدٍ من هؤلاء ، فمن أيّ بابٍ من الأبواب يتسرّب الشقاءُ الى قلبك ؟

أنت شاعرٌ يا مولاي ؛ وقلبُ الشاعرِ مرآةٌ تتراءى فيها صورُ الكائنات صغيرها وكبيرها ، دقيقها وجليلها، فإنْ أعوزتك (١) السعادة ففتّش عنها في أعماق قلبك، فقلبك الصورة الصغرى للعالم الأكبر وما فيه .

السماءُ جميلة ، والشاعرُ هو الذي يستطيع أنْ يُدرِك سرّ جمالها ، ويخترق بنظراته أديمَها (٢) الأزرق الصافي، فيرى في ذلك العالم العلويّ النائي ما لا تراه عين، ولا يمتدّ إليه نظر .

والبحر عظيم ، والشاعرُ هو الذي يشعر بعظمته وجلاله . ويرى في صفحته الرجراجة (٣) المترجّحة (٤) صورَ الأمم التي طواها والمُدن التي محاها، والدول التي أبادها . وهو باقٍ على صورته لا يتغيّر ولا يتبدّل، ولا يبلى (٥) على العصور والأيام .

---

(١) أعوزتك : احتجت إليها . (٢) الأديم : الجلد . وأديم الأرض والسماء : ماظهر منها .

(٣) الرجراجة : المتحركة المتماوجة . (٤) المترجحة : المهتزة المضطربة .

(٥) بلى الشيء : تهيأ للفناء .

وَاللَّيْلُ مُوحِشٌ(١)، وَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِى يَسْمَعُ فِى سُكُونِهِ وَهُدُوئِهِ أَنِينَ الْبَاكِينَ، وَزَفَرَاتِ(٢) الْمُتَأَلِّمِينَ، وَأَصْوَاتَ الدُّعَاءِ، الْمُتَصَاعِدَةَ إِلَى آفَاقِ السَّمَاءِ، وَيَرَى صُوَرَ الأَحْلَامِ الطَّائِفَةِ بِمَضَاجِعِ النَّائِمِينَ، وَخَيَالَاتِ السَّعَادَةِ أَوِ الشَّقَاءِ الْهَائِمَةَ(٣) فِى رُءُوسِ الْمَجْدُودِينَ(٤) وَالْمَحْدُودِينَ(٥).

الشَّاعِرُ يَرَى الْجَمَالَ فِى كُلِّ شَىْءٍ يَتَنَاوَلُهُ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ، حَتَّى فِى الزَّهْرَةِ الذَّابِلَةِ، وَالنَّبْتَةِ الْحَائِلَةِ(٦)، وَالنَّحْلَةِ الطَّائِرَةِ، وَالْفَرَاشَةِ الْحَائِمَةِ(٧)، وَفِى مَدَارِجِ(٨) النِّمَالِ وَأَفَاحِيصِ(٩) الْقَطَا(١٠)، وَالنُّؤْىِ(١١) الْمُتَهَدِّمِ، وَالْحَدَثِ الْبَالِى، وَالشَّبَحِ الْمُخِيفِ، وَالْخَيَالِ الرَّائِعِ، وَفِى الضِّفْدِعَةِ الْمُلْقَاةِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَالدُّودَةِ الْمُمْتَدَّةِ فِى بَاطِنِ الصَّخْرِ، فَهُوَ مِنْ خَيَالِهِ الْوَاسِعِ فِى نِعْمَةٍ دَائِمَةٍ لا تَنْفَدُ وَلَا تَبْلَى.

أَنْتَ كَالطَّائِرِ السَّجِينِ فِى قَفَصِهِ، فَمَزِّقْ عَنْ نَفْسِكَ هَذَا السِّجْنَ الَّذِى يُحِيطُ بِكَ، وَطِرْ بِجَنَاحَيْكَ فِى أَجْوَاءِ هَذَا الْعَالَمِ الْمُنْبَسِطِ الْفَسِيحِ، وَتَنَقَّلْ مَا شِئْتَ فِى جَنَبَاتِهِ وَأَكْنَافِهِ(١٢)، وَاهْتِفْ(١٣) بِأَغَارِيدِكَ(١٤) الْجَمِيلَةِ فَوْقَ قِمَمِ(١٥) جِبَالِهِ، وَرُءُوسِ أَشْجَارِهِ، وَضِفَافِ(١٦) أَنْهَارِهِ، فَأَنْتَ لَمْ تُخْلَقْ لِلسِّجْنِ وَالْقَيْدِ، بَلْ لِلْهُتَافِ وَالتَّغْرِيدِ.

---

(١) موحش: مظلم يبعث على الوحشة والانقباض. (٢) زفر الرجل: أخرج نفسه مع مدّه إياه، من ضيق وحزن. (٣) الهائمة: الطائفة. (٤) المجدودون: جمع مجدود، وهو ذوالحظ الموفق. (٥) المحدودون: جمع محدود، وهو ضدّ المجدود. (٦) الحائلة: المتغيرة.
(٧) الحائمة: أى التى لا تفتأ تدور حول النار أوالنور. (٨) المدارج: جمع مدرج، موضع الدروج، وهوالمشى. (٩) الأفاحيض جمع أفحوص بضم الهمزة، وهوالموضع الذى تفحص القطاة التراب عنه، لتبيض فيه. (١٠) القطا: جمع قطاة، وهى طائر فى حجم الحمام. (١١) النؤى: الحفرة التى تحفر حول الخيام ليذهب فيها السيل. (١٢) أكنافه: نواحيه. (١٣) اهتف: مدّ صوتك. (١٤) الأغاريد: جمع أغرودة، وهى غناء الطائر. (١٥) القمم: جمع قمة، وهى أعلى الجبل. (١٦) الضفاف: جمع ضفة، وضفة النهر: جانبه.

١٩ – سعد زغلول باشا[1]

وجّه رحمه الله هذا النداء إلى الأمة المصرية عقب عودته إلى مصر فى صــدر سـنة ١٩٢١ م :

رَحّبت الأمّةُ بعَوْدةِ نُوابِهَا ترحيباً فاقَ كُلَّ ترْحيب، وأعْجــز وصْفَ كُلِّ كَاتِبٍ وَخَطِيب ، فَقَدْ أَتَى أَفْرَادُهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِدَافِعٍ من ضَمَائِرِهِمِ النَّيِّرة، وَباعِثٍ مِنْ شُعُورِهِمُ الْحَيّ، تَرْتَعِشُ أَعْصَابُهم حَمَاسَة ، وتَخفِقُ قُلُوبُهم بالوطَنِيَّــةِ الصَّادِقَة ، للِالْتِفَافِ حَوْلَ مَن اتَّخَــذُوهُمْ رَمْزَ أَمَانِيِّهِمْ وَعُنْوَانَ مبَادِئِهِم . وَلَقَــدْ رَأَيْتُ آيَاتِ الحِكْمَــةِ والكَرَامَةِ والثَّبَاتِ تَتَحَــلَّى فيما استَقْبلْنَا بِهِ مِنْ مَظَاهِرِ الفَـرَحِ البَاهِرِ — تِلْكَ الصِّفَاتِ التى تَضْمَنُ للشُّعوبِ تَقَدُّمَهَا وللأمَمِ سَعَادَتَها . وشَعَرْتُ مِنْ قُبُلَاتِ التَّرْحِيبِ التى غَمَرُونَا بهــا بحَرَارَةِ قَلْبٍ يَخفِقُ فِى جِسْمِ شَعْبٍ عَظِيم . وقدِ اشْـتَرَكَ الأَمْوَاتُ والأَحْيَاءُ فى أن يُمَــلُوا على المَجْمُوعِ وكُلِّ فَرْدٍ وَاجِبَه نحو الوَطَنِ العزيز ، وَأَجْمَعَ الكُلُّ عَلَى مُطَالَبَتِنَا بمُوَاصَلَةِ السَّــيْرِ فِى الطرِيقِ الذى سَنَّه الحَــقُّ القَوِيم . وإن الشَّرَفَ والكَرَامَةَ والإخلاصَ لِوَطَنِنَــا المُقَدَّسِ لَمَّا يُوجِبُ عَلَيْنَا طَاعَةَ هــذا الأمْرِ الكَرِيم ، والتزامَ هَذَا الطَّرِيقِ المُسْتَقِيم .

إننا نَشْكُرُ البــلادَ جَميعَها . قَرِيبَهَا وبَعِيدَها : عَلَى حُلَّةِ[2] الثِّقَةِ التى زَيَّنَتْنَا بهــا ، وَنُقْسِمُ بالوطَنِ وشَعَائِرِهِ[3] المُقَدَّسَةِ — ويُشَارِكُنَا فى هذا القَسَمِ العظيم أصحابُنَا المُخْلِصونَ

(١) يعدّ سعد زغلول باشا زعيم الخطابة العربية فى عصره — درس فى الأزهر دراسة استقلالية أعدّته ليكون كاتبا نابغا ومحاميا بارعا وقانونيا قديرا . كان زعيم النهضة السياسية حتى توفى سنة ١٩٢٧ م .

(٢) الحلة : الثوب . (٣) الشعائر : العلامات والمعالم .

فى جِهَادِهِمْ — أَنَّنَا لَا نَدَّخِرُ شَيْئاً من وُسْعِنَا لِتَحقيقِ هـذه الثِّقَةِ الغَالِيَةِ ، ولا نَتَحَوَّلُ لَحْظَةً وَاحِدَةً عَنِ الغَرَضِ الذى وَضَعْنَاهُ نُصْبَ عُيُونِنَا (١) حَتَّى نَصِلَ إِلَيْه .

إننا لم نَعُـدْ إلا لِنُقَوِّىَ بِعَزَائِمِ مُوَاطِنِينَا الكِرَامِ عَزَائِمَنَا ، وَنَشُـدَّ أَزْرَنَا بِاتِّحَادِهِم المَتِين ، وَنَتَمَتَّعَ بِمَرْآهُمْ بَعْدَ طُولِ هذه الغَيْبَة ، ونتأكَّدَ مِنْ أَنَّ الاشتِرَاكَ فى المفاوضاتِ الرَّسْمِيَّةِ التى دَعَتْنَا الوزارَةُ الجديدةُ لَهُ مُتَّفِقٌ مَعَ المبادِئِ التى وَضَعَتْهَا الأُمَّة ، وعَاهَدْنَاهَا عَلَى احْتِرَامِها ، وَمَعَ الخُطَّةِ التى رَسَمَتْهَا وتَعَهَّدْنَا بِمُتَابَعَتِهَا . ولا شَىْءَ أَحَبُّ الى قُلُوبِنَا من أن نَخْـدُمَ بِلادَنَا بالاتِّفَاقِ مع كُلِّ هَيْئَةٍ مُسْتَعِدَّةٍ لأن تَسْتَرْشِدَ بِإِرَادَةِ الأُمَّة ، وَعَامِلَةٍ عَلَى تَحْقِيقِ غَايَتِهَا السَّامِيَـة .

لَمْ يَبْقَ عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ يَعُودَ كُلٌّ مِنَّا إلى عَمَلِه ، ويُقْبِلَ عَلَى شَأْنِه ، فالتلميـذ الى مَدْرَسَتِه ، والفـلاحُ الى مَزْرَعَتِه ، والصانِـعُ إلى مَصْنَعِه ، والتـاجِرُ الى مَتْجَرِه ، والكَاتِبُ الى مَكْتَبِه ، والمـرأةُ الى إِدَارَةِ بَيْتِهَا . وعلى الكُلِّ مِن غَنِىٍّ وفقـيرٍ أن يُبَاشِرَ عَمَلَه ، مُرَاقِبًا أَعْمَالَنَا ، واضعًا نُصبَ عَيْنَيْهِ المقصدَ الأَسْمَى ، وأن يَعْتَقِدَ أَنَّه يَزِيدُ بِمَا يَعْمَلُ فِى كُنُوزِ الوطَنِ كَنْزًا ، وَيَضُمُّ إِلَى قُوَاهُ قُوَّة .

الى العَمَلِ جَمِيعا ، لِنَرْفَعَ مَنَارَ الوَطَن ، وَنُعْلِيَ كَلِمَتَه ، وَلْتَحْيَ مِصْر !

---

(١) نصب عيوننا : أمامها .

٢٠ – محمد بك المويلحى (١)

كتب من مصر إلى منيف باشا وزير المعارف فى تركيا يعزّيه فى ابنتـــه :

إلَى الوَزِيرِ الذى ترتَعِش بنَظْرَةٍ منه عُقَــدُ السِّيَاسَة ، حتى تتَحَــلّ من شِــدّةِ الارتجـــاف ، والامِيرِ الذى ينتعِش به سرورا دَسْتُ (٢) الرياســة ، حتى يتِيــه على الأَسْلاف ، والفَيلسوفِ الذى تفرَّعَتْ عنه أصولُ الحِكَمِ ، والهُمامِ الذى أعْيَا النجومَ ان تبَارِيَه فى عُلوِّ الهِمَم ، والرفِيــع الذى سارَتْ عنه أمْثالُ المَجْدِ المُؤَثَّل (٣) ، وانتشر على السُّمَّارِ (٤) حَديثُ فَضْــلِهِ المرتَّل :

إلى قُطبِ (٥) الدُّنيَا الَّذِى لو بِفَضْلِهِ * مَدَحتُ بَنِى الدُّنيا كَفَتْهُمْ فضَائِلُه

من عَبْدٍ لدَوْلَتِه ، له الشرفُ الأسْنَى بهــذه النِّسبَةِ بَعْدَ أبِيــه ، والفخرُ الأعْلَى بذلِكَ وأَفانِينُ التِّيـــه (٦) . دَهَمَــهُ خَبَرُ المُصَابِ الذى أنْقَضَ ظَهرَه (٧) ، وأرْضَى دَهرَه (٨) ؛ على أنَّ الموت — أطال الله بقـــاءَ المَجْدِ بطُولِ بقـــائِك ، وأدام رَوْنَقَ الفَضْـــلِ

(١) هو ابن المرحوم إبراهيم بك المويلحى . أخذ الأدب عن أبيــه ، واتصــل بكبار أئمة العــلم والأدب فى عصره ، وحذق التركية وطائفة من اللغات الأوربية . ويمتاز قلمه بصفاء الديباجة ، ونصاعة اللفظ ، وتلاحم النسج ، ومتانة السجع ، وقد أوتى من البراعة فى فنون الوصف ما لا يتعلق فيه بغباره . وله (حديث عيسى بن هشام) وكان قد نشر منجما فى جريدة « مصباح الشرق » التى كان يحررها مع أبيه . توفى سنة ١٩٣٠ م .

(٢) الدست : الكرسى .

(٣) المؤثل : الأصيل الثابت .

(٤) السمار : المتسامرون ، المتحدثون ليلا . وفى الليل يجتمع الناس عادة للتحدث .

(٥) قطب الشىء : مداره وملاكه الذى يعمل به . وقطب القوم : سيدهم الذى يدور عليه أمرهم .

(٦) التيه : الكبر والخيلاء .

(٧) أنقض ظهره : أثقله .

(٨) كل امرئ يحسب دهره عاملا على إيذائه يرضيه أن يتوالى عليه الضرر ، وينزل به المكروه .

بدوامك — بابٌ مِنْ أبواب الطبيعةِ لَا مَفَرَّ لِلإنسانِ من وُلُوجٍ فيه، وَعَوْنٌ مِن أَعْوان الحياةِ لَا بُدَّ لِلْحَيِّ من تَوَافِيه[1] . وَاسْمُ الحياةِ لا معنَى له بغَيْرِ اسْمِ الموْت، وَلفظُ العَيْش متضمِّنٌ لِلَفظِ الفَوْت[2] . ولقد قيل لحَكِيم مِثلِك : ما سببُ مَوتِ فلان ؟ قال : كَوْنُه[3] ! فعجيبٌ بعدَ ذلك من ابنِ آدمَ ثُكْلُه وحُزْنُه . و إنى أَتيَقَّنُ أَنَّ مولاىَ الوزيرَ ما تَجَاسَرَ أن يَلْمَس أذيالَهُ رسُولُ الحُزْن والأسَى، ولا عَارَضَ نُورَ حِكْمَتِه عَارِض مِنْ ظُلمَة ذاك الدُّجى[4] ، وما تَسَنَّى لِطُفَيْلِيِّ الفَزَع أن يَتلَمَّظ[5] على مائدة حِلْمِه بعد ارْتِقاءِ هَضَبَاتِه[6] ، ولا طَمِعَ أَشْعَبِيُّ[7] الجَزَع فى اسْتِجْدَاءٍ من مَعْدِن وَقَارِه وثَبَاتِه .

لَكِنَّما الفقيدةُ التى اختارتْ رُوحها فِدَاءً لبنات مَعَاليكَ ومَجْدِك ، وَرَضِيَتْ أن تكُونَ نَفسُهَا زَكاةً لِكُنُوز فَضائلكَ وسَعْدِك، تَسْتَوْجبُ مِن جِهَتَيْن لَا مِن جِهَةٍ، أنواعَ الأَسَف ، و ينبغى لها إرسالُ الدَّمْعِ المنذَرِف[8] ، وَاحْتِرَاقُ الكَبِد عَلَيْهَا مِنْ طَرَفَين لا مِنْ طَرَف : الأول ـ أنّ الوَرْدَةَ قد اقتُطِفَتْ قَبْل إبَّانها[9] ، وَانتُزِعَت من أَفْنَانها[10] قبلَ أَوَانها ، واقتُنِصت الظَّبْيَةُ من خَمَائِلها ، قبل استكمال مَخَايِلها[11] ، واختُطِفَت الحمامةُ من وَكْرِها قبل أن يُطَوَّق جِيدُها، وَيَنْتَظِمَ نشيدُها، واقتُصِف الغُصْنُ قبل إثمَارِه، وَانمَحَقَ[12] الهِلالُ قبلَ إبدارِه . وحِينَ البَدْءِ فى دَوْرٍ من أَدْوارِه،

(١) توفى إلى المكان : حضر إليه . (٢) الفوت : الهلاك . (٣) كونه : أى حياته . (٤) الدجى : الظلمة . (٥) تلمذ الشيء : تذوّق قليلا منه . (٦) هضبات : جمع هضبة، وهى المكان المرتفع . (٧) أشعب : اسم رجل يضرب به المثل فى الطمع . (٨) المنذرف : السائل . (٩) إبان الشيء : وقته . أى قبل اكتمال نضرتها . (١٠) جمع فنن وهو الغصن المستقيم . (١١) مخايلها : صفاتها ومحاسنها . (١٢) انمحق : اضمحل وانمحى .

وَشُـعَاعُ أَمَلٍ لَفَّ عَلَيْــهِ السَّحَابُ رِدَاءَه ، وسَاعَةُ سُرُورٍ نَبَـذَها حَسَدُ الأيامِ واللَّيَالِي وَرَاءَه :

إن الفَجِيعَةَ بالرِّيَاضِ نَوَاضِراً * لَأَجَلُّ منهـا بالرِّيَاضِ ذَوَابِلا

والثاني : لِأَنِّي لستُ مِنْ رَأْيِ من يَنْسُبُ إلى النبيِّ أنه قال : « نِعْمَ الْخَتَنُ القَـبر »(١) ولا من رَأْيِ العَرَب حينَ تَتَبَجَّحُ بِمُصَاهَرَةِ الْقُبُــور(٢)، وَهَضْمِ حَقِّ الإنَاثِ وتفضيل الذُّكور . ولا أرَانِي من مَذْهَبِ الشيخ المَعَرِّيِّ(٣) وَمَن قَبْلَه حيثُ يقول :

وَدَفْنٌ، وَالْحَوَادِثُ فَاجِعَاتٌ، * لِإحْدَاهُنَّ إحدَى المَـكْرُمَاتِ(٤)

ولا من جانبِ الفَرَزْدَق وَيُرْوَى عَنْه :

وَأَهْـوَنُ مَفْقُودٍ إذَا المَوْتُ نَالَهُ * عَلَى المَـرْءِ مِن أَصْحَابِهِ مَن تَقَنَّعَا

ولا أَلتَفِتُ لِنَاحِيَةِ البُحْتُرِيِّ وَيُنْشَدُ له :

وَلَعَمْرِي مَا الْعَجْزُ عِنْــدِيَ إلَّا * أن تَبِيتَ الرجالُ تَبْـكِي النِّسَاءَ(٥)

فَسِيَّان في حكمِ الطبيعةِ مُقَنَّعٌ(٦) بِلَامَةِ(٧) الحديد في الْهَيْجَاء(٨) ، وَمُقَنَّعةٌ بلامةِ الحريرِ(٩) من النِّسَاء . وإنمـا الفضلُ بينَهما لمن جاء بالعَاقِبَةِ الحُسْنَى، ولمن قَلَّ ضَرَره وأَتَى بالنَّفعِ الأَسْنَى(١٠)، وشَــتَّانَ في حُكْمِ الإنسانيــةِ بين قائِدٍ للجَيْش مُعْــلَم(١١) ، وعَذراءَ تطرِّز

---

(١) الختن : زوج الابنة . (٢) كان العرب يكرهون البنات خشية العار، وربما دفنوا البنت حية . وقد أبطل الاسلام ذلك . (٣) هو أبو العلاء المعرى الشاعر الفيلسوف . (٤) هذا البيت من قصيدة له كلها تهجين للمرأة وازدراء بها . (٥) من قصيدة له يعزى فيها عن بنت توفيت . (٦) تقنع الشيء : لبسه . (٧) اللامة : الدرع، وهو ما يتقى به المحارب سلاح عدوه . (٨) الهيجاء : الحرب . (٩) أى لابسة ثوب حرير . (١٠) الأسنى : الأرفع . (١١) معلق عليه صوف ملون فى الحرب .

فى ثوبها وتُنَمْنِم (١) . ذاكَ يُشيرُ بنانُه لتَيْتيم الأطفالِ ولتخريبِ البِلاد ، وتلك يُشير بنانُها لحبّاتِ القلوب بعَقدِ الوِداد . وفرقٌ عظيم بينَ يدٍ مُخَضَّبةٍ بالدِّماء، وأخرى مخضّبةٍ بالحِنّاء، وبينَ من يحتضِن الأطفالَ ويُربّيها ، وبينَ من يُشتّتها ويعذّبها ، وبين كفٍّ لا حِلْيةَ لها إلا السيوفُ البَواتِر، وأخرى إنما حِليتُها الخواتِمُ والأساوِر، وكم جَلَبَتْ تلكَ من فَظائعَ مشهورةٍ، وكم لهذه من يدٍ بيضاءَ مشكورة :

وليس الخَمْسُ (٢) ضاربةً بسيفٍ * نظيرَ الخَمْسِ ضاربةً بِدُفِّ
أباغِي حَظِّهِ بِقَناً (٣) وخَيْلٍ * كَباغِيةٍ بمِنْوالٍ وحَفِّ (٤)

ومولاى — أعزَّ اللهُ الفضلَ بوُجودِه — يعلمُ حِكايةَ إحدى العَذارى مع عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ اذ رَدّتْ بوَقْفَةٍ منها أمامَ الجيش غَرْبَ (٥) الجيشِ عن قَصْدِه، وأدخلتْ سَيْفَ القاهرِ الجبّارِ فى غِمْدِه ، ونَجّت قَوْمَها من الخَراب ، وأنقذتْهم من أليمِ العَذاب، حتى قال عبدُ اللهِ قصيدةً فى ذلك، منها :

نحنُ قومٌ تُذيبُنا الأعيُنُ النُّجْـ * ـلُ (٦) على أنّنا نُذيبُ الحَديدا
طَوْعَ أيدى الغَرامِ تَقْتادُنا الغِيـ * ـدُ (٧) ونَقْتادُ بالطِّعانِ الأُسُودا

والأخرى التى لها ما يُماثِلُ ذلك معَ أحدِ مُلوكِ الفُرْس، وهو يُحارِبُ قومَها فى بلادِ يَهُودا أثناءَ الزمنِ الأوّل، إلى غيرِ ذلك من هذهِ الوقائع .

---

(١) نمم الشيء : زخرفه وزينه . (٢) يريد الأصابع الخمس . (٣) القنا : الرماح .
(٤) الحف : المنسج . (٥) غرب الشيء : حده، والمراد : ردته عن وجهه .
(٦) النجل : جمع نجلاء، وهى العين الواسعة الحسنة . (٧) الغيد : جمع غيداء، وهى اللينة الأعطاف .

هــذا ما قَوَّى وَقْعَ المصيبةِ فِينا ، وأَمَدَّ (١) جُيوشَ الهُمُومِ عَلَيْنـا . أمّا مولاىَ الوزيرُ فما يُبْعِدُ الأَسفَ مِنْـه ، ويُزِيل الكَدَرَ عنه ، عِلْمـه بضَوْءِ حِكْمَتِه ، ونُورِ فَلسـفتِه ، أنه ما فَقَـدَ تلك الفَقِيدَة ، وما صارَتْ عَنْـهُ بَعِيدَة ، فَهُوَ يستَنْشِـقُها فِي رَوَائِحِ الأَزْهـار ، وَيَرَاهَا في أَغْصانِ الأَشْجار ، ويَسْمَع صوتَهـا في صَوْتِ الأَطيار ، وتَمُـرُّ عليه في ريح الصَّبا (٢) من لَيـالِي الرَّبيع ، ويُشَاهِدُها في كلِّ شَـكْلٍ لَطِيفٍ أَوْ بَدِيع .

أَلْهمَنا اللهُ عليهـا جَزِيلَ الصَّبْرِ ، وأَلبَسَ مولاىَ الوزيرَ ثوبَ الأَجْرِ ، إنْ شاءَ الله .

وقال فى وصف الصباح (من كتابه : حديث عيسى بن هشام) :

جَلَسْنا نَتَجاذبُ أَطرافَ الحديث ، من قَديمٍ فى الزمانِ وحَديث إلى أن صارت الليلةُ فى أُخْرَيَات الشَّباب ، واستهانَتْ بالإزارِ والنِّقاب ، ثم دَبَّ المَشيبُ فى فَوْدِها (٣) ، وبانَ أَثَرُ الوَضَحِ (٤) فى جِلْدِها ، فعيِثَتْ بالعُقودِ والقَـلائِد ، من الجَواهِرِ والفَـرائِد ، ونَزَعَتْ من صَـدْرِها كلَّ منثورٍ ومَنظوم ، من دُرَرِ الكَواكِب ولآلِئِ النُّجوم ، وأَلْقَت بالفَرْقَدَيْن (٥) من أُذُنهـا ، وخَلَعَت خواتيمَ الثُّرَيَّا (٦) من يَدَيْهـا ، ثم إنَّها مَزَّقَتْ جِلْبَابَها ، وهَتَكَتْ حِجَابَها ، وبَرَزَتْ للناظرين عَجُـوزًا شَمْطاء (٧) ، ترتَعِد مُتَوَكِّئَة على

(١) جاء إليها بالمدد . (٢) الصبا : ريح مهبها جهة الشرق .

(٣) الفود : الشعر الذى فى جانب الرأس مما يلى الأذنين إلى الأمام .

(٤) وضح الجلد : ما يصيبه من البرص ونحوه . ويكنى الكاتب به عن ضوء الصبح .

(٥) الفـرقدان : نجمان قريبان من القطب الشمالى ، يهتـدى بهما فى الليـل ، وقد شبههما بالقرط فى أذنى المرأة . (٦) مجموع كواكب . (٧) مشى البياض فى شعرها .

عَصَا الجَوْزَاء (١)، وتَرَدَّد آخِرَ أنفاسِ البقاء، فَسَتَرَهَا الفَجْرُ بمُلاءَته الزَّرْقاء، ودَرَجَها (٢) الصُّبْحُ فى أرديته البَيْضاء، ثم قَبَرها فى جَوْفِ الفَضَاء، وقامت عليها بَنَاتُ هَدِيل (٣)، نائحةً بالتَّسْجِيع والتَّرْتيل، ثم انقلب المأتمُ فى الحال عُرْسَ اجْتلَاء، وتبدَّلَ النحيبُ بالغِنَاء، لإشْرَاقِ عَرُوسِ النَّهار، و إسْفَارِ مَلِيكَة البدو رِ والأَقْمَار .

وقال فى وصف الأَهْرَام :

وَقَفْنَا هُنالكَ موقِفَ الإجْلَالِ والإعْظام، قُبَالَةَ (٤) ذلك العَلَمَ الذى يُطَاوِلُ الرَّوابِىَ والأَعْلام، والهَضَبةِ التى تعلُو الهِضَابَ والآكام (٥)، والبَنِيَّةِ (٦) التى تشرف على رَضْوَى وشَمَام (٧)، وتُبْلِى ببقائها جِدّة اللَّيَالِى والأَيَّام، وتَطْوِى تحتَ ظِلَالها أَقْوَامًا بعدَ أَقْوَام، وتُفْنِى بدوامِها أعمارَ السِّنين والأَيَّام، خَلِقَتْ ثيابُ الدهرِ وهى فى ثَوْبها القَشِيب، وشَابَت القُــرونُ وأخْطَأَ قَرْنَها وَخْطُ المَشِيب، ما بَرِحَتْ ثابتَــةً تُنَاطِحُ مَواقِــعَ النُّجُوم، وتَسْخَر بِثَوَاقِبِ الشُّهب والرُّجوم، وتُحَــدِّث حديثَ المشاهَدةِ والعِيَان، ما تعاقَبَ الفَتَيان (٨)، وتَناوبَ المَلَوان (٨)، عَن قُدْرَةِ هــذا الإنْسَان، فى بدائع الصُّنْع والإتْقَان، وتُنْبِئُ عن قُوّةِ هذا الضَّعِيفِ الضَّئيل، فى إقَامَةِ مثلِ هذا الأثَرِ الجليل، وكيفَ لهذا الفَانِى البائِد، أن يَصْدُرَ عنه مثلُ هــذا الباقِى الخالدِ — وجلّ صُنْعُ القَدِيرِ الخالِق، فى تَصْوِيرِ هــذا الحيوانِ الناطق، حيث جَعَلَهُ مَصــدَرًا للأَعمالِ المتناقِضَة، والأفعالِ المُتَغَايِرةِ المتعارِضة، فبينا تراه يصعَد إلى أَجْرامِ السماء وعَوالِمِها،

(١) الجوزاء : برج فى السماء . (٢) درجها : طواها . (٣) بنات هديل : الحمام .

(٤) قبالة : أمام وتجاه . والعلم : الجبل . (٥) الآكام : جمع أكة، وهى التل .

(٦) البنية : البناء . (٧) رضوى وشمام : جبلان . (٨) الفتيان والملوان : الليل والنهار .

وَيبحث بِفكْرِه فى رُسُومِهَا ومعالِمِها، وَيسيرُ بِعِلْمِه فى أَنْحَائِهَا وَمَناكِبِها، وَيهتدى لحَسَابِ أَقْمَارِهَا وَكَواكِبِها ، إِذْ تَرَاه يَعْـثُرُ عَثْرَةً بِرجله ، فيكونُ فيها مُنْتَهى أَجَلِه ، أَوْ يَكْبُو فى طَرِيقِه، فَيَغَصُّ بِرِيقِه ، ذاكَ الذى كَبُرَ وصغُر، وَعَظُمَ وَحقُر، وعَزَّ وَذلّ، وَكَثُرَ وقَلّ، وصَعِدَ وَهَبَطَ، وَعَلا وسَقَطَ، وَصَلَحَ وَفَسَدَ، وعَرَفَ وجَحَدَ، وَسَعِدَ وشَقِىَ ، وَفَنِىَ وَبَقِىَ ، وسبحانَ القاهِرُ فَوْقَ عِبَادِه !

٢١ – مصطفى صادق الرافعى[١]

قال يصف البلاغة النبوية :

هَـذِهِ هِىَ الْبَلاَغَةُ الإِنْسَانِيَّةُ الَّتِى سَجَـدَتِ الأَفْكَارُ لآيَاتِهَا، وَحَسَرَتِ الْعُقُولُ[٢] دُونَ غَايَاتِهَا ، لَمْ تُصْنَع ، وَهِىَ مِنَ الإِحْكَامِ كَأَنَّهَا مَصْنُوعَة، وَلَمْ يتَكَلَّفْ لَهَا ، وَهِىَ عَلَى السُّهُولَةِ بَعِيدَةٌ مَمْنُوعَة[٣] .

أَلْفاظُ النُّبُوَّةِ يَعْمُرُهَا قَلْبٌ مُتَّصِلٌ بِجَـلاَلِ خَالِقِه ، وَيَصْقُلُهَا لِسَانٌ نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ بِحَقَائِقِه ، فهى إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَحْى، ولـكِنَّهَا جَاءت مِنْ سَبِيلِه ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَـا مِنْهُ دَلِيل ، فَقَدْ كَانَتْ هِىَ مِنْ دَلِيلِه .

مُحْكَمَةُ الْفُصُول ، حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عُرْوَةٌ مَفْصُولَة ، مَحْذُوفَةُ الْفُضُـول ، حَتَّى لَيْسَ فِيهَا كَلِمَةٌ مَفْضُولَة .

---

(١) عنى فى مطلع حياته بالشعر ، فأخرج ديوانا فى ثلاثة أجزاء ، ثم تجرد للنثر ، فأجاد فيه ، وترك النظم إلا فى النادر ، وهو قوى التوليـد للمعانى ، بالغ التجويد للألفاظ ، واسـع الاطلاع على الأدب العربى ، وقد كان شديد الغيرة على العروبة ، وكان يكثر من المجازات والتشبيهات ، ويخير من الألفاظ الجزل الفحم . توفى سنة ١٩٣٧ م .

(٢) حسرت العقول : ارتدت وتخاذلت

(٣) أى تمتنع على من يحاول محاكاتها .

وكأنما هي في اختصارها وإفادتها، نبض قلب يتكلم، وإنما هي في سموها وإجادتها، مظهر من خواطره صلى الله عليه وسلم ...

إن خرجت في الموعظة، قلت: أنين من فؤاد مقروح، وإن راعت بالحكمة، قلت: صورة بشرية من الروح. في منزع(1) يلين، فينفر(2) بالدموع، ويشتد، فينزو(3) بالدماء.

وإذا أراك القرآن أنه خطاب السماء للأرض، أراك هذا أنه كلام الأرض بعد السماء.

---

(1) منزع — هنا — : أسلوب.

(2) ينفر بها : يدفعها. (3) ينزو : يثب.

(ب) الشعر

١ – الخشاب [١]

كتب على ظاهر ديوان صديق له من الشعراء يداعبه :

قُلْ لِلرَّئِيسِ أَبِي الحُسَيْنِ مُحَمَّدٍ * خِدْنِ المَعَالِي وَالسَّرِيِّ الأَمْجَدِ [٢]

وَالحَاذِقِ الفَطِنِ اللَّبِيبِ أَخِي الذَّكَا * ءِ اللَّوْذَعِيِّ الأَلْمَعِيِّ الأَوْحَدِ [٣]

أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ فِي القَرِيضِ مَذَاهِبًا * ذَهَبَتْ بِشِعْرِكَ فِي الحَضِيضِ الأَوْهَدِ [٤]

***

كَدَّرْتَ مِنْهُ بِمَا صَنَعْتَ بُحُورَهُ * فَغَدَتْ مَشَارِعَ لَيْسَ يَنْحُوهَا صَدِي [٥]

فَإِذَا نَظَمْتَ فَكُنْ لِنَظْمِكَ نَاقِدًا * نَقْدَ البَصِيرِ بِذِهْنِكَ المُتَوَقِّدِ

أَوْ لَا فَدَعْ تَكْلِيفَ نَفْسِكَ وَاسْتَرِحْ * مِنْ قَوْلِهِمْ : مَا شِعْرُهُ بِالجَيِّدِ

وَلَئِنْ عَنُفْتُ عَلَيْكَ فِيمَا قُلْتُهُ * فَلَقَدْ بَذَلْتُ النُّصْحَ لِلْمُسْتَرْشِدِ [٦]

---

(١) هو الأديب الشاعر الكاتب السيد إسماعيل الخشاب ، ظهر قبيل احتلال الفرنسيين مصر ، وامتدت به الحياة إلى أول عصر محمد على باشا الكبير . وقد توفى سنة ١٢٣٠ هـ . وله ديوان شعر مطبوع بالآستانة .

(٢) الخدن بكسر الخاء وسكون الدال : الحبيب والصاحب . والسرى : السيد الشريف السخى .

(٣) اللوذعى : الذكى الذهن . والألمعى : الذكى المتوقد الذكاء .

(٤) القريض : الشعر . والحضيض : القرار من الأرض عند أسفل الجبل ، والأوهد : العظيم الانخفاض . والمراد أن شعره نزل إلى أسفل الدرك . وقد صرف (مذاهب) لضرورة الشعر .

(٥) كدر الماء : أذهب صفاءه بالطين ونحوه . والمشارع جمع مشرع بفتح الميم وهو مورد الماء . وينحوها : يقصدها . والصدى بفتح الصاد وكسر الدال : الشديد العطش .

(٦) عنفت : قسوت . والمسترشد : طالب الرشد والهداية .

وقال متغــزلا :

يَا شَقِيقَ ٱلْبَدْرِ نُورًا وَسَنًى * وَأَخَا الْغُصْنِ إِذَا مَا ٱنْعَطَفَا (١)

بِأَبِي مِنْكَ جَبِينًا مُشْرِقًا * لَوْ بَدَا لِلنَّيِّرَيْنِ ٱنْكَسَفَا (٢)

بُغْيَتِي مِنْكَ رُضَابٌ وَرِضًا * وَعَلَى ٱلدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا ٱلْعَفَا (٣)

٢ — الشيخ حسن العطار (٤)

قال يتغــزّل :

أَعَنِ الْمُحِبِّ ثَنَاكَ عَنْهُ وَجِيبُهُ ؟ * أَمْ قَدْ دَعَاكَ إِلَى الْبِعَادِ رَقِيبُهُ ؟ (٥)

هَجَرَ الْكَرَى لَمَّا هَجَرْتَ وَوَاصَلَتْ * هُ شُجُونُهُ وَازْدَادَ فِيكَ نَحِيبُهُ (٦)

لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا فِي هَوَاكَ ، وَإِنَّمَا * قَدْ كَانَ بِالْهِجْرَانِ مِنْكَ نَصِيبُهُ

أَفْقَرْتَهُ مِنْ حُسْنِ وَصْلِكَ بَعْدَ مَا * جَادَتْ عَلَيْكَ دُمُوعُهُ وَنَسِيبُهُ (٧)

لَوْ لِلْقَا عَطَفَتْكَ مِنْهُ شِكَايَةٌ * رَقَّتْ وَدَمْعٌ طَافِحٌ شُؤْبُوبُهُ (٨)

لَرَأَيْتَ جِسْمًا كَالْخِلَالِ مِنَ ٱلضَّنَا * وَلَهِيبَ قَلْبٍ مُقْلَتَاهُ تُذِيبُهُ (٩)

---

(١) السنى : الرفعة أو الضوء . وانعطف : مال وانثنى . (٢) بأبي : أفدى بأبي . والنيران : الشمس والقمر . (٣) الرضاب (بضم الراء) : الريق المرشوف . والعفاء : الهلاك .

(٤) هو الشيخ الأكبر حسن بن محمد العطار . كان من علماء الأزهر ، وزار أهم الممالك الاسلامية ، وصار بعد محررا للوقائع المصرية أول ظهورها . ثم صار شيخا للأزهر الشريف وكان على علمه شاعرا كاتبا بليغا . توفى سنة ١٢٥٠ هـ . (٥) وجيبه : اضطرابه وخفقان قلبه .

(٦) الشجون جمع شجن بفتحتين : الهموم والأحزان . والنحيب : البكاء الشديد .

(٧) النسيب : رقيق الشعر فى الغزل . (٨) عطفتك : أمالتك إليه وحببتك . الشؤبوب بضم الشين : الدفعة من المطر وجمعه شآبيب . (٩) الخلال : يريد بها الأعواد الدقيقة التى يتخلل بها . والضنا : الضعف والهزال .

صِــلْهُ لِتَسْتَبْقِيَ بِهِ الرَّمَقَ الَّذِي * لَــوْلَا الأَمَانِي مَا بَقِي مَوْهُــوبُهُ (١)

أَلْزَمْتُ نَفْسِي الصَّــبْرَ فِيكَ تَأَسِّياً * وَالصَّــبْرُ أَصْعَبُ مَا يُقَادُ نَجِيبُــهُ (٢)

وَبُلِيتُ مِنْــكَ بِكُلِّ لَاحٍ لَــوْ تَبَـ * ـدَّى نَحْوَ طَوْدٍ أَثْقَلَتْهُ كُرُوبُهُ (٣)

* * *

أَفَــلَا رَثَيْتَ لِعَاشِــقٍ لَعِبَتْ بِهِ * أَيْدِي الْمَنُونِ وَنَازَعَتْــهُ خُطُوبُهُ؟ (٤)

أَنْتَ النَّعِيمُ لَهُ وَمِنْ عَجَبٍ تُعَـ * ـذِّبُهُ، وَتُمْرِضُــهُ وَأَنْتَ طَبِيبُــهُ!

وقال متغــزِّلا :

أَنَا رَاضٍ مِنْـــكَ يَا كُلَّ الْمُنَى * بِالَّذِي تَهْوَى عَلَى حُكْمِ الْغَرَامْ

لَسْتُ أَبْغِي مِنْ زَمَانِي حَاجَــةً * غَيْرَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا وَالسَّــلَامْ

وقال يصف بِرْكَةَ الأزبكية :

بِالْأَزْبَكِيَّةِ طَابَتْ لِي مَسَــرَّاتُ * وَلَذَّ لِي فِي بَدِيــعِ الْأُنْسِ أَوْقَاتُ

حَيْثُ الْمِيَــاهُ بِهَا وَالْفُلْكُ سَابِحَــةٌ * كَأَنَّهَا الزُّهْرُ تَحْوِيهَــا السَّــمَوَاتُ (٥)

وَقَــدْ أُدِيرَ بِهَــا دُورٌ مُشَــيَّدَةٌ * كَأَنَّهَــا لِبُــدُورِ الْحُسْنِ هَالَاتُ (٦)

---

(١) الرمق : بفتحتين بقيــة الحياة . يقول : إنك وهبته بقية من الحياة فلا تقض عليها بالهجر ، بل استبقها بالوصل . (٢) التأسى : التصبر والتعزى . والنجيب : البعير الكريم .

(٣) اللاحى : الشاتم العــائب . والطود بفتح الطاء وسكون الواو : الجبــل العظيم . كروبه : مصائبه الشديدة . (٤) رثى له : رق له وعطف عليه . المنون : الموت .

(٥) الفلك — بضم الفــاء وسكون اللام — : السفينة . ولفظ جمعــه كلفظ مفرده . والمراد بـ «الزهر» بضم الزاى : النجوم المشرقة . (٦) الهــالات : جمع هالة ، وهى الدائرة التى ترى حول القمر .

وَالمَاءُ حِينَ سَرَى رَطْبُ النَّسِيمِ بِهِ * وَحَلَّ فِيهِ مِنَ الأَدْوَاحِ زَهَرَاتُ (١)
كَسَابِغَاتِ دُرُوعٍ فَوقَهَا نُقَطٌ * مِنْ فِضَّةٍ ، وَاحْمِرَارُ الوَجْهِ طَعَنَاتُ (٢)

٣ – السيد على الدرويش (٣)

قال يرثى صديقه المرحوم الشيخ على الغلبان :

أَفِرُّ مِنَ المَحْتُومِ ، وَهْوَ مُطَارِدِي * وَهَلْ أَمَلِي إِلَّا حِبَالُ المَصَايِدِ (٤)
وَأَرْصُدُ أُفْقَ الوَهْمِ وَالأَمَلِ السُّهَى * وَرَائِدُ مَوْتِي كَامِنٌ فِي وَرَائِدِي (٥)
وَثِقْتُ بِآمَالِي ، وَلَمْ تَفِ مَرَّةً * وَلَا ثِقَةٌ لِي بِالنَّذِيرِ المُعَاهِدِ
فَأَسْتَبْعِدُ المَعْلُومَ ، وَهْوَ مُقَارِبِي * وَأَسْتَقْرِبُ المَجْهُولَ ، وَهْوَ مُبَاعِدِي
وَمِنْ عَتَهِي خِلْتُ التَّجَاهُرَ خَافِيًا * بِغِشِّ زُيُوفٍ عَدَّهَا كُلُّ نَاقِدِ (٦)
أُحَاذِرُ مَرْأَى النَّاسِ لَا اللهِ فِي الهَوَى * وَعِنْدَهُمُ تَفْصِيلُ نَقْصِي وَزَائِدِي

(١) الأدواح : جمع دوحة بفتح الدال ، وهى للشجرة العظيمة .

(٢) الدروع : جمع درع ، وهى القميص من زرد الحديد يلبسه المحارب يتقى به سلاح العدو . والدروع السابغات : الطويلة الضافية . والشاعر يشبه البركة وما يعلوها من الزبد والفقاقيع بالدرع الضافية ترصع بالفضة ، ويشبه الورد فيها بالدم من آثار الطعنات .

(٣) هو السيد على افندى الدرويش بن حسن المصرى ، كان أديبا شاعرا ولوعا فى شعره ونثره بالمحسنات البديعية للغاية القصوى ، وهو أبرع من علم فى التواريخ الشعرية ، وله ديوان شعر كبير . وتوفى سنة ١٢٧٠ هـ .

(٤) المحتوم : الحادث الذى لا مفر من وقوعه .

(٥) ورائد موتى : وطالب موتى . وورائد : جمع وريد وهو عرق فى العنق .

(٦) عتهى : العته بفتحتين نقص العقل بلا جنون . زيوف : جمع زيف بفتح فسكون وهو الدرهم المغشوش . يقول : ومن نقص عقلى وقصور تفكيرى ظننت أن الجهر بالأمور الباطلة المغشوشة التى راج غشها على الناس ، أمر خاف على الله .

لِأَمَّارَتِي[١] بالســوءِ مُسْتَعْبَدٌ ولِي * مداهنــةٌ فى الله ، صــورةُ عابِـدِ

أُبالِــغُ فى الإســرافِ حتى كأننى * لَمَيْتٌ غَـدًا، لكنَّ لِي حِرصَ خالد

وقال مادحا المرحوم الحاج محمد على باشا الكبير ومؤرّخا مجىء الجراد عام موت البقر سنة ١٢٥٩ هـ :

يا صَـاحِ : مَا هٰذَا الخَبَرْ * قَالَ : الجَرَادُ هُنَـا ظَهَرْ !

قلتُ: الجرادُ! فقال : إى * تَدْرِى الجرادَ إذا ابْتَدَرْ[٢] ؟

قلتُ : استعِذ بالله ! قا * ل: وهل من المَقْضِى مَفَرّ ؟

ما كان قــطُّ بخـاطرِى * فى خاطرِى هذا الخـبَرْ

⁂

جاء الجــرادُ كأنه * يتـلو على البَقَــرِ السُّــوَرْ

أو أنَّ أَرواحَ البَهَا * ئِمِ أُلبِستْ تلك الصُّوَرْ

مَوْتُ الكـبيرِ أَضَرُّ أم * مَحْيا الصـغيرِ هـو الأَضَرّ ؟

أَوَ ما سمعتَ مقـالَهم : * مِثْـلُ الجـرا دِ إذا انتشر ؟

فترى الجـرادَ عَلَى الجَرِيـ * ـدِ مُكَلَّلًا مِثْـلَ الثَّمَــر

[٣] رُقْـــشٌ تراهـــا أنهـــا * نارٌ تلظَّـتْ بالشَّـجر

---

(١) أمارتى بالســوء : نفسى . المداهنــة فى الله : أن تظهرله خلاف ما تبطن . يقول : إنى مستعبد لنفسى خاضع لميولها ولكنى أظهر خلاف ما أبطن نفاقا ومداهنة ، فأظهر بصورة العـابد الطائع ، على حين أجارى نفسى وأخضع لهـا فى الخفاء . (٣) ابتدر : عاجل وأتى مسرعا .

(٢) رقش : جمع رقشاء . أى منقطة بسواد و بياض .

لَوّاحـةٌ للأرض ، لا * تُبـقى النبـاتَ ولا تَـذَرْ (١)

وصـغيرةٌ فى حَجْمِـها * لكنها إحـدَى الكُبَرْ (٢)

الأَرْضُ كانتْ جَنّـةً * فالانَ تُرْمَى بالشَّرَر

نَـزَلَ الجـرادُ بهـا كما * نـزَلَ القضـاءُ أو القَدَر

مُتَنَشِّـرٌ رجـلاهُ مِنْ * شارٌ فـكم شىءٍ نَشَـر (٣)

لمـا استَمَرّ عَلَى القَسا * دِ بِقَبضِـهِ أَمرٌ صـدَر

دَقُّـوا الطُّبـولَ لِرَقْصِـه * فى الزَّرعِ لمـّا أَنْ زَمَرْ

وغَزَوْا عَـلَى ذا المعتـدِى * فمَضَى هَزِيمًـا وانكَسر

وكـذا الخديوى عادة * لم يَغْـزُ إلا وانتَصَـر

نَصَبُوا موازيـنًا لِأَجْـ * ـسامِ الجـرادِ لتُعتَـبَرْ

وأَتَـتْ بأجمعِـه زَبا * نِيَـةُ العذاب إلى سقَر (٤)

وتَتَبّعُـوا آثارَهُ * حتى خَـفِى ذاك الأثَـر

من جَنّـةٍ خرجَ الجَـرا * دُ إلى لَظَى بِئْس المَقَرّ

* * *

هـل للخـديوى مُشْـبِهٌ * فى هِمّـةٍ أو فى سِـيَرْ

هـل قَبْـلَه رَدّ الجـرا * دَ سِـواهُ فيما قد غَـبَرْ

---

(١) لواحة للأرض : مغيرة لها ، تنزل عليها خضراء فتتركها جرداء .

(٢) الكبر : بضم ففتح — المصائب العظيمة ، جمع كبرى . (٣) متنشر : منتشر فى الفضاء .

(٤) الزبانيـة : جمع زبنيـة أو زبنى بكسر الزاى وسكون الباء ، وهو الشرطى ، وسمى بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهل النار إليها .

مُتَبَدِّدٌ يَـرْعى النَّبا * تَ، وليس يُعْيِيه سَفَر (١)

مُتَوَاثِبٌ ، لا يستقِرّ * لــه قَــرارٌ فى مَمَــرّ

بالليل يُكفِّرُ بالنَّبا * تِ فإن بَدا بَجْرَ بَجَر (٢)

مُذْ أسرعوا فى قبضـه * ومضى الأهالى بالأُجَر

أَرَّخْتُه : وَصَـل الجَـرا * دُ لمِصْـرَ فى عامِ البَقَرْ

٣٣٣ ١١١ ٩٠ ٣٦٠ ٢٣٩ ١٢٦

ســنة ١٢٥٩

٤ ــ الشيخ شهاب (٣)

قال من قصيدته التى أنشأها لتكتب حول جامع القلعة :

عَرُوسُ كُنُوزٍ قَدْ تَحَلَّتْ بِعَسْجَدٍ * مُكَلَّلَةٌ تِيجَانُهَا بِالزَّبَرْجَدِ

أَمِ الجَنَّةُ المَبْنِيُّ عَالِي قُصُورِهَا * بِأَبْهَجِ يَاقُوتٍ وَأَبْهَى زُمُرُّدِ

أَمِ المَكْرُمَاتُ الآصِفِيَّةُ أَبْدَعَتْ * هَيُولَى أَعَاجِيبٍ بِصُورَةِ مَسْجِدِ (٤)

هُوَ الفَلَكُ الأَعْلَى تَنَزَّلَ وَازْدَهَى * بِزُهْرِ الدَّرَارِى جَامِعًا كُلَّ فَرْقَدِ

(١) متبدّد : منتشر فى كل ناحية . يعييه : يعجزه . (٢) يكفر : يستتر . بجر بفتح الوسط : ظهر وانتشر . (٣) هو شهاب الدين محمد بن إسماعيل المكى الأصل المصرى المنشأ . كان شاعرا متأدبا موسيقيا ؛ اشتغل بالكتابة فى الوقائع المصرية أول ظهورها مساعدا للشيخ حسن العطار، ثم كان رئيسا لإنشائها بعد وفاته . وله ديوان شعر . ومن أجمل مؤلفاته سفينته التى حفظت كثيرا مما كانت تتغنى به العامة فى عصره وقبيله . وتوفى سنة ١٢٧٥ هـ . (٤) الآصفية : نسبة إلى آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام ، وكانت رتبة محمد على باشا بالاضافة إلى الرتب بمنزلة وزارة . هيولى أعاجيب : مادة أعاجيب . والهيولى عند القدماء : الطينة التى خلق منها العالم .

أَلَا إِنَّ تَجْدِيدَ ٱلْعَجِيبِ مِنَ ٱلْبِنَا * يُؤَكِّدُ تَأْسِيسَ ٱقْتِدَارِ ٱلْمُجَدِّدِ
فَدَعْ قَصْرَ غُمْدَانٍ وَأَهْرَامَ هُرْمُسٍ * وَإِيوَانَ كِسْرَى إِنْ أَرَدْتَ لِتَهْتَدِي
وَدَعْ إِرَمًا ذَاتَ ٱلْعِمَادِ وَنَحْوَهَا * وَعَرْشًا لِبِلْقِيسٍ كَصَرْحٍ مُمَرَّدِ
وَدَعْ أُمَوِيَّ الشَّامِ (١) وَٱنْزِلْ بِمِصْرِنَا * وَبَادِرْ إِلَى هٰذَا بِإِيمَاءِ مُرْشِدِ
فَلَوْ عُدِّدَتْ فِي ٱلْكَوْنِ بَدْءً بَدَائِعٍ * لَكَانَ بِهِ خَتْمٌ لِذَاكَ ٱلتَّعَدُّدِ
كَأَنَّ (٢) ٱللَّيَالِي ٱلْوَالِدَاتِ عَجَائِبًا * أُصِبْنَ بِعُقْمٍ بَعْدَ هٰذَا ٱلتَّوَلُّدِ

٥ — الشيخ ناصيف اليازجي (٣)

قال فى الغَـزَل :

حَوَاكَ وَقَدْ حَلَلْتَ بِكُلِّ قَلْبٍ * فُؤَادٌ لَمْ يَحُلَّ بِهِ سِوَاكَا
نَزَلْتَ بِهِ عَلَى طَلَلٍ (٤) تَفَانَى * وَلَسْتَ بِمَنْ عَلَى طَلَلٍ تَبَاكَى
أَطَعْتَ ٱلْعَاذِلِينَ بِقَتْلِ صَبٍّ * يُرِيدُ ٱلْقَتْلَ لَكِنْ عَنْ رِضَاكَا
تَعِزُّ كَرَامَةً ، وَيَهُونُ ذُلًّا * فَتَأْنَفُ أَنْ يَقُولَ : دَمِي فِدَاكَا

---

(١) يريد بأموى الشام : جامع دمشق العظيم . (٢) يقول : كأن الليالى التى تلد العجائب أصيبت بعد بناء هذا الجامع بعقم ، فكان آخر مولود من عجائبها لروعته و إعجاز هندسته . وفى البيت إشارة لقول الشاعر القديم :

والليالى من الزمان حبالى * مثقلات يلدن كل عجيبه

(٣) هو ناصيف بن عبد الله اليازجى ، شاعر من كبار الادباء والمنشئين ، له بحوث مختلفة فى فقه اللغة ، وله كتاب مجمع البحرين ، وهو مجموعة مقامات مثل مقامات الحريرى ، وكتب أخرى فى النحو ، وتوفى سنة ١٢٨٧ هـ . (٤) الطلل : الشاخص من آثار منزل قديم يقول : نزلت بقلبى على أثر بال من شدة الوجد والوله ، تفانى فيك غراما ، ولكنك لم تبك عليه ولم ترق له ، شأن الذين يشهدون الآثار البالية فيأسون عليها .

وقال :

كُفَّ عَنِّي لا أَبَا لَكْ * قَـدْ تَبَيَّنَّا مِحَالَكْ (١)

قَـدْ عَرَفْنَاكَ وَإِلَّا * فَمَتَى نَعْرِفُ حَالَكْ

قَدْ مَضَى لِي بِكَ عَصْرٌ * حَامِلًا فِيهِ مَلَالَكْ

حَسْبُ قَلْبِي مِنْكَ جَوْرٌ * كَادَ مِنْهُ يَتَهَالَكْ

وَكَفَانَا مَا احْتَمَلْنَا * مِنْكَ فَاسْتَدْعِ احْتِمَالَكْ

سَتَرَى النَّادِمَ مِنَّا * وَيُسِيءُ اللهُ فَالَكْ

ومن قصيدة يرثى بها صديقا له :

قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ الْبُشْرَى بِرُؤْيَتِهِ * فَجَاءَنِي غَيْرُ مَا قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ

إِنْ كَانَ قَدْ فَاتَ شَهْدُ الْوَصْلِ مِنْهُ فَقَدْ * رَضِيتُ بِالصَّبْرِ لَكِنْ كَيْفَ أَصْطَبِرُ

أَحَبُّ شَيْءٍ لِعَيْنِي حِينَ أَذْكُرُهُ * دَمْعٌ وَأَطْيَبُ شَيْءٍ عِنْدَهَا السَّهَرُ

هٰذَا الصَّدِيقُ الَّذِي كَانَتْ مَوَدَّتُهُ * كَالْكَوْثَرِ الْعَذْبِ لَا يَغْتَالُهَا كَدَرُ (٢)

لَا غَرْوَ أَنْ أَحْزَنَ الزَّوْرَاءَ مَصْرَعُهُ * فَحُزْنُهُ فَوْقَ لُبْنَانٍ لَهُ قَدَرُ (٣)

وقال يرثى صديقًا آخر له :

الْمَوْتُ يَخْتَارُ النَّفِيسَ لِنَفْسِهِ * مِنَّا كَمَا نَخْتَارُ نَحْنُ فَمَا اعْتَدَى

قَدْ نَالَ مِنَّا دُرَّةً مَكْنُونَةً * كَانَتْ لِبَهْجَتِهَا الدَّرَارِي حُسَّدَا

كَنْزٌ ذَخَرْنَاهُ لَنَا فَاغْتَالَهُ * لِصُّ الْمَنِيَّةِ خَاطِفًا مُتَمَرِّدَا (٤)

(١) المحال بكسر الميم : الخديعة والكيد .

(٢) يغتالها : يخالطها فيقضى عليها .

(٣) الزوراء : مدينة حلب .

(٤) فاغتاله : فقتله خفية .

وقال يرثى طبيبا من أصدقائه :

قَدْ كَانَ فِي طِبِّهِ لِلنَّاسِ مَنْفَعَةٌ * فَإِذْ أَتَى الْمَوْتُ ذَاكَ الطِّبُّ مَا نَفَعَا

وَكَانَ يُبْرِي مِنَ النَّاسِ الْجِرَاحَ فَهَلْ * يُبْرِي جِرَاحَ فُؤَادٍ بَعْدَهُ انْصَدَعَا (١)

سَارَتْ إِلَى اللهِ تِلْكَ النَّفْسُ تَارِكَةً * جِسْماً يُرَى فِي تُرَابِ الْأَرْضِ مُضْطَجِعَا

كُلٌّ إِلَى أَصْلِهِ قَدْ عَادَ مُنْقَلِبًا (٢) * فَانْحَطَّ هَذَا وَهَذَا طَارَ مُرْتَفِعَا

٦ — السيد محمد صالح مجدى بك (٣)

كتب إلى المرحوم سعيد باشا والى مصر يشكو إليه ظلم رئيسه :

أَنُظْلَمُ فِي زَمَانِكَ يَاسَعِيدُ * وَأَنْتَ الْعَادِلُ الْمَلِكُ الرَّشِيدُ

وَيَسْطُو الذِّئْبُ مِنْ شَرِّهِ عَلَيْنَا * وَأَنْتَ اللَّيْثُ وَالْبَطَلُ الْمَجِيدُ

وَيَرْقَى غَيْرُنَا رُتَبَ الْمَعَالِي * وَيَخْفِضُنَا بِلَا سَبَبٍ عَنِيدُ

وَيَظْفَرُ بِالْأَمَانِي كُلُّ رَاجٍ * وَنُحْرَمُ مِنْ جَنَابِكَ مَا نُرِيدُ

فَرُدَّ نَوَائِبَ الْمَلَوَيْنِ (٤) عَنَّا * فَرَأْيُكَ دَائِمًا رَأْيٌ سَدِيدُ

وَجُودُ يَدَيْكَ (٥) فَاضَ عَلَى الرَّعَايَا * فَسُرَّ قَرِيبُهُمْ، وَكَذَا الْبَعِيدُ

وَدُمْ فِي نِعْمَةٍ وَثَبَاتِ مُلْكٍ * فَفِيكَ الشُّكْرُ، مَا دُمْنَا، يَزِيدُ

---

(١) انصدع : انشق . وهذا كناية عن شدة وقع المصيبة عليه . (٢) يقول : قد رجع جسمه وروحه إلى أصلهما بعد موته ، فالروح ارتفع إلى الله فى السماء والجسم عاد إلى تراب الأرض الذى خلق منه فى الأصل . (٣) هو محمد بن صالح بن أحمد بن الشريف مجد الدين ، عالم مترجم ، وأصل آبائه من مكة ، وقد ولد بالقاهرة وتعلم فى مدارسها وأتقن الفرنسية وترجم عنها بعض الكتب ، ندبه إسماعيل باشا لترجمة القوانين الفرنسية ، واشترك فى وضع الخطط التوفيقية ، وتوفى بمصر سنة ١٢٩٨ هـ .

(٤) الملوان : الليل والنهار . (٥) جود يدك : كرمك وعطاؤك .

٧ – السيد على أبو النصر [1]

قال يتحسر على فراق أحبابه :

لَقَدْ ذَهَبَ النَّوى بِجَمِيلِ صَبْرِى * وَأَوْدَعَ فِى حُشَاشَتِىَ الوَلُوعا [2]

وَأَلْبَسَنِى الأَسَى خِلَعَ التَّمَنِّى * وَأَلْزَمَنِى التَّذَلُّلَ وَالخُضُوعَا [3]

وَنارُ الشَّوْقِ أَغْرَاهَا غَرَامِى * عَلَى كَبِدِى فَقَوَّمَتِ الضُّلوعَا [4]

وَلِى قَلْبٌ تُقَلِّبُهُ شُجُونِى * وَتَمْنَعُهُ السَّكِينَةَ وَالهُجُوعَا [5]

يَبِيتُ مَعَ الأَحِبَّةِ حَيْثُ كَانُوا * وَيُصْبِحُ رَاجِيًا مِنْهُمْ رُجُوعَا

يَرَى أَضْغَاثَ أَحْلَامِ الأَمَانِى * حَقَائِقَ لَا يَزَالُ بِهَا وَلُوعا [6]

تَطُوفُ بِهِ الحَوَادِثُ وَهْوَ لَاهٍ * كَأَنَّ الوَهْمَ أَلْبَسَهُ دُرُوعا

وَرُبَّ مُكَابِدٍ عَانَى خُطُوبًا * وَمُفْرَدُ عَزْمِهِ عَزَّ الجُمُوعا [7]

وَقَائِلَةٍ : إِلامَ تَحِنُّ شَوْقًا * إِلَى حَىٍّ أَحَلَّ بِكَ الهُلُوعا [8]

فَقُلْتُ لَهَا : وُقِيتِ البَأْسَ، إِنِّى * أَوَدُّ بِحُبِّهِمْ أُدْعَى هَلُوعا [9]

(١) هو الشريف العالم الشاعر الزجال ، أصله من منفلوط بأسيوط ، درس بالأزهر وبرع فى الأدب ، واتصل بالبيت الخديوى من عهد محمد على باشا الكبير إلى عهد توفيق باشا ويعدّ شعره متوسطا ، وله ولع بالتاريخ الشعرى ، وقد توفى سنة ١٢٩٨ هـ . (٢) النوى : البعد والفرقة . والحشاشة بضم الحاء : بقية الروح . والولوع بفتح الواو : شدة العشق . (٣) الأسى : الحزن والهم . خلع : جمع خلعة بكسر فسكون ، وهى الثوب الذى يعطى منحة . (٤) يريد أن نار الشوق لشدتها جعلت أضلاعه مستقيمة بعد أن كانت منحنية . (٥) الهجوع : النوم فى الليل .

(٦) أضغاث الأحلام : المختلطة الملتبسة . والولوع بفتح الواو : الشديد الولع ، وهو الحب .

(٧) عز الجموع : غلبها . (٨) الحى : منازل القوم . والهلوع بضم الهاء : الجزع .

(٩) البأس : الشدة . الهلوع بفتح الهاء الشديد الجزع .

أَبَعْدَ فِرَاقِهِمْ تَرْتَاحُ روحِي * وَتَرْجُو سَاعَةً أَنْ لَا تَلُوعا (١)
فَهُمْ رُوحِي وَرَيْحَانِي وَرَاحِي * فَكَيْفَ أَرَى إِلَى السُّلْوَى نُزُوعَا؟ (٢)

وقال رحمه الله :

نَوْرُ زَاهِي الرَّوْضِ أَمْ نُورُ الصَّبَاحْ * وَابْتِسَامُ الثَّغْرِ أَمْ زَهْرُ الأَقَاحْ
وَنُجُومٌ تَزْدَهِي فِي أُفْقِهَا * بِوَمِيضِ البَرْقِ أَمْ كَاسَاتُ رَاحْ
لا ولا بَلْ بَدْرُ تَمٍّ يَنْجَلِي * لِلنَّدَامَى فِى اغْتِبَاقٍ وَاصْطِبَاحْ (٣)
بِمُحَيًّا يَزْدَرِي شَمْسَ الضُّحَى * فى مَعَانِي حُسْنِهِ تَعْيَا الفِصَاحْ (٤)

وقال رحمه الله متغزلا :

رِسَالَةٌ مِنْ كَلِفٍ عَنِيدِ * حياتُه فى قَبْضَةِ الصُّدُودِ (٥)
بَلَّغَهُ الشَّوْقُ مَدَى المَجْهُودِ * ما فَوْقَ ما يَلْقَاهُ من مَزِيدِ (٦)

* وَاهًا عَلَيْهِ كَمْ بِهِ مِنْ وَجْدِ *

جَارَ عليه حَاكِمُ الغَرَامِ * فَدَقَّ أَنْ يُدرَكَ بِالأَفْهَامِ (٧)
فلو أَتَاهُ طَارِقُ الحِمَامِ * لَمْ يَرَدْ مِنْ شِدَّةِ السَّقَامِ (٨)

* إلا إذا صدَّره فِي البُرْدِ *

---

(١) تلوع : تمسها حرقة الحزن . (٢) الراح : الخمر . ونزوعا : ميلا .

(٣) الندامى : جمع نديم ، وهم القوم يجتمعون للشراب . الاغتباق : الشرب بالعشى . والاصطباح : الشرب فى الصباح . (٤) المحيا : الوجه . يزدرى : يحتقر . تعيا : تعجز .

(٥) كلف : مشتاق . (٦) مدى المجهود : نهاية الجهد ، يقول إن الشوق بلغ به غاية لا يستطيع احتماله بعدها . (٧) الأفهام : العقول . (٨) الحمام بكسر الحاء : الموت .

* * *

له اهْــتِزَازٌ وَارْتِيَاحٌ وَطَـرَبْ * لوجهِ من أَورثَه طولَ الكُرَب(١)

فهل سَمِعْتُمْ فِي الأحاديثِ العَجَب * بمن مُناه قــربُ مَن منه العطَب

* ومن رأى الغَيَّ بديلَ الرُّشْد *

* * *

ما العُــذْرُ فى السُّــلُوِّ عَنْ غَزَالِ * منقطعِ الأقْرَانِ وَالأَشْكَالِ

تَسْتَخْلِفُ الشمْسُ لَدى الزَّوالِ * ضِــيَاءَ خَــدَّيْهِ عَلَى اللَّيَــالِي(٢)

* فَصَارَ نُورُ البَدْرِ غَيْرَ مُجْدِى(٣) *

وكتب إلى بعض أصحابه :

حُــرُوفُ وُدِّى وَسَــائِلْ * وَالدَّمْــعُ جَارٍ وسَــائِلْ(٤)

وَلَــوْعَــتِي وَشُجُــونِى * تَضِــيقُ عَنْهَا الرَّسَائِلْ(٥)

لِي فِي هَوَاكُمْ غَرَامٌ * طُولَ الْمَدَى غَيْرُ زَائِلْ

لَمَّــا هَجَــرْتُمْ وَبَانَتْ * صَــبَابَتِي لِلْعَــوَاذِلْ(٦)

دَخَلْتُ دَارَ اصْــطِبَارِى * خَرَجْتُ مِنْ غَــيْرِ طَائِلْ(٧)

فَقُلْتُ لِلْعَيْنِ : جُودِى * بِالْمُرْسَــلَاتِ الْهَــوَامِلْ(٨)

---

(١) الكرب بضم ففتح : المصائب التى تكرب النفس . (٢) نور خدّيه يخلف الشمس بعد المغيب فيطلع على الليالى ساطعا فينيرها . (٣) غير مجد : غير نافع . (٤) وسائل (الأولى) : جمع وسيلة . أما الثانية فالواو حرف عطف ، و «سائل» اسم فاعل من : سال يسيل .

(٥) اللوعة : حرقة الهوى . والشجون : جمع شجن بفتحتين ، وهو الهم والحزن .

(٦) الصبابة : شدّة العشق . (٧) جعل للاصطبار دارا دخل فيها ثم خرج لم يستفد شيئا .

(٨) المرسلات : أى الدموع المرسلات ، أى الجاريات . والهوامل : الفائضات بالدموع .

وَقَدْ أَمَرَتْ يَرَاعِي * نَخُطَّ مَا أَنَا قَائِلُ[١]

وَحُبُّكُمُ فِي ضَمِيرِي * سِوَاهُ زُورٌ وَبَاطِلُ

وَمَدْحُكُمُ - كُلَّ وَقْتٍ - * فَرَائِضُ لَا نَوَافِلُ[٢]

وَإِنْ سَأَلْتُمْ فَإِنِّي * بِشُكْرِكُمْ لَا أُمَاطِلُ[٣]

أَوَاخِرُ الشَّوْقِ عِنْدِي * إِلَى لِقَاكُمْ أَوَائِلُ

٨ - صفوت الساعاتى[٤]

قال رحمه الله يرثى الأديب الشيخ حسن قويدر :

يَا شَمْسَ فَضْلٍ فَدَتْكَ الشُّهْبُ قَاطِبَةً * إِذْ عَنْكَ لَا أَنْجُمٌ تُغْنِي وَلَا شُهُبُ

لَمَّا أَصَابَكَ لَا قَوْسٌ وَلَا وَتَرٌ * سَهْمُ الْمَنِيَّةِ كَادَ الْكَوْنُ يَنْقَلِبُ

مَا حِيلَةُ الْعَبْدِ وَالْأَقْدَارُ جَارِيَةٌ * الْعُمْرُ يُوهَبُ وَالْأَيَّامُ تَنْتَهِبُ

لَوِ افْتَدَتْكَ الْمَنَايَا عِنْدَ مَا فَتَكَتْ * بِخَيْرِنَا لَفَدَتْكَ الْعُجْمُ وَالْعَرَبُ

سَقَى ضَرِيحَكَ غَيْثُ الْعَفْوِ مُنْسَكِبًا * وَلَا ارْتَوَتْ بَعْدَكَ الْأَغْصَانُ وَالْعَذَبُ[٥]

وَلَا اسْتَهَلَّتْ عُيُونُ الْقَطْرِ بَاكِيَةً * إِلَّا عَلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بِنَا النُّوَبُ[٦]

---

(١) اليراع — فى الأصل — : القصب، والمزمار ينفخ فيه راعى الإبل أو الغنم، ثم استعير للأقلام.

(٢) الفرائض : ما يجب على الإنسان القيام به حتما . والنوافل : ما يقوم به الانسان طلبا للثواب وليس محتوما عليه فعله، وأكثر ما تستعمل فى الصلاة . (٣) أماطل : أتراخى وأسوف .

(٤) هو محمود صفوت بن مصطفى أغا، شاعر مصرى، ولد بالقاهرة وتعلم بها، واتصل بشريف مكة فلازمه فى بعض وقائع وصفها فى شعره، ثم استخدم فى المعية ثم فى مجلس أحكام الجيزة والقليوبية . واشتهر بالساعاتى لبراعته فى فن الساعات، ولكن لم يحترفه . وكان حلو الفاكهة حسن المحاضرة . مات سنة ١٢٩٨ . (٥) الغيث : المطر . العذب بفتحتين : الأغصان أيضا .

(٦) القطر بفتح القاف : المطر . والنوب بضم النون وفتح الواو المصائب، واحدتها نوبة .

أَمْسَتْ لِفَقْـدِكَ عَيْنُ الْعِـلْمِ سَائِلَةً * تَرْجُو الشِّـــفَاءَ وَأَنَّى يَنْجَحُ الطَّلَبُ (١)

بَكَتْ عَلَيْكَ السَّمَا وَالْأَرْضُ وَاضْطَرَبَتْ * كَأَنَّمَا نَالَهَـا مِنْ حُزْنِهَا طَـرَبُ

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَنَّ لَدَى * نِصْفِ النَّهَارِ ضِيَاءَ الشَّمْسِ يَحْتَجِبُ

لَوْ كَانَ يَدْرِى فُـؤَادِى يَوْمَ نَكْبَتِـهِ * كَانَ الْفِـدَاءَ وَهٰـذَا بَعْضُ مَا يَجِبُ

بِالرَّغْـمِ مِنِّى حَيَـاتِى بَعْـدَ مَصْرَعِهِ * سِـيَّانِ فُـرْقَةُ مَنْ أَحْبَبْتُ وَالْعَطَبُ (٢)

٩ — عبد الله باشا فكرى (٣)

كتب إلى أحمد فارس الشِّدياق ردًا على قصيدة له :

تَفْـدِيكَ نَفْسُ شَجٍ عَلِيـلٍ آمِى * عَزَّ الدَّوَاءُ لَهُ وَحَارَ الْآسِى (٤)

أَضْـنَاهُ طُـولُ أَسَاهُ حَتَّى إِنَّهُ * يَحْكِى لِفَرْطِ ضَنَاهُ ذَاوِى الْآسِ (٥)

هَزَّتْهُ سَارِيَةُ النَّسِيمِ، وَقَدْ جَرَتْ * بِشَـذًا فَرُوقَ أَرِيجَـةَ الْأَنْفَاسِ (٦)

فَكَأَنَّ فِى طَىِّ الشَّمَالِ، إِذَا انْثَنَى * مِنْ نَشْرِهَا طَرَبًا، شَمُولَ الْكَاسِ (٧)

---

(١) فى هـذا البيت استخدام، فان (سائلة) بمعنى فائضة بالدمع، وفى قوله ترجو أعاد عليها الضمير بمعنى السؤال .

(٢) بعد مصرعه : بعد موته . العطب : الهلاك .

(٣) هو الكاتب الشاعر المترجم عبدالله باشا فكرى بن محمد افندى بليغ، ولد بمكة ودرس بالأزهر، وأجاد التركية والعربية . وقـد ترقى فى المناصب حتى وصـل إلى معية المغفور له سـعيد باشا فاسماعيل باشا . وكان يكتب عنهما مكاتبات كانت تعدّ نموذجا متبعا فى المكاتبات الديوانية، وكان كاتبا بليغا يتأثر البديع والخوارزمى بالتزام السجع القصير والمحسنات البديعية . وقد توفى سنة ١٣٠٧ هـ .

(٤) الشجى : المهموم، الحزين . والآمى : كذلك . عز الشىء : ندر وصعب الحصول عليه . الآسى : الطبيب .

(٥) أضناه : أسقمه وأهزله . أساه : حزنه . ذاوى : ذابل . الآس : نوع من الزهر .

(٦) الشذا : قوة طيب الرائحة . فروق بفتح الفاء : من أسماء القسطنطينية . وأريجة : طيبة الريح .

(٧) الشمال : يريد بها ريح الشمال . والشمول بفتح الشين : من أسماء الخمر .

وكأنّها حملت إلىّ رسالة * غرّاء جاءت من أغرّ مواسى (١)

كمليحة عذراء وافت صبّها * من بعد طول تعذّر وشماس (٢)

يفترّ مبسمها بحسن حديثها * عن سحر فاتن جفنها النّعّاس (٣)

تدنو فيطمع عاشقيها أنسها * ويشير عزّ دلالها بإياس (٤)

أو روضة فيحاء حيّاها الحيا * من صوب محلول العرى رجّاس (٥)

وكتب إلى المرحوم توفيق باشا الخديو الأسبق يستعطفه ويستمنحه العفو :

كتابى توجّه وجهة السّاحة الكبرى * وكبّر إذا وافيت ، واجتنب الكبرا

وقف خاضعا ، واستوهب الإذن ، والتمس * قبولا ، وقبّل سدّة الباب لى عشرا (٦)

وبلّغ لدى الباب الخديوىّ حاجة * لذى أمل يرجو له اليسر والبشرى

لدى باب سمح الرّاحتين مؤمّل * صفوح عن الزّلّات يلتمس العذرا (٧)

تنوء الجبال الرّاسيات بحلمه * إذا طاش ذو جهل لدى غيظه قهرا (٨)

يراقب رحمن السّموات قلبه * فيرحم من فى الأرض رفقا بهم طرا (٩)

(١) الغراء : الحسناء . والأغر : السيد الشريف . والمواسى : المساعد المعاون .

(٢) صبها : عاشقها . والتعذر : التمنع . والشماس بكسر الشين . النفور والإباء .

(٣) يفتر : ينكشف . والمبسم : الفم . والنعاس : الشديد الفتور . (٤) الإياس : اليأس . أى ييأس من أن تواصلهم . (٥) الحيا : المطر . ويريد بمحلول العرى : المطر الغزير الذى لا يحجبه شىء . والرجاس : الشديد الصوت . (٦) استوهب الإذن : اطلب هبة الاذن . السدّة بضم السين : عتبة الدار . (٧) السمح : الكريم . والراحتان : مثنى الراحة ، وهى باطن الكف . (٨) يقال : ناء به الحمل ينوء به : أى أثقله وأتعبه . يقول : إذا شط الجاهل عن عقله عند الغيظ من شدة القهر فان حلم الممدوح فى مثل هذه المواقف تعجز الجبال الراسيات عن احتماله .

(٩) يشير إلى الحديث الشريف : «الراحمون يرحمهم الرحمن . ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء» . طرا : جميعا .

مَليكي وَمَولَايَ العَزيزُ وَسَيِّدي * وَمَنْ أَرتَجِي آلاءَ مَعروفِهِ العُمْرا (١)

لَئِنْ كانَ أَقوامٌ عَليَّ تَقَوَّلُوا * بِأَمْرٍ فَقَدْ جاءُوا بِمَا زَوَّرُوا نُكْرا

وَإِنَّ سُعَاةَ السُّوءِ أَنْزَلَ فِيهِمُ * عَلَيْنَا إِلَهُ العَرْشِ فِي ذِكْرِهِ ذِكْرَا (٢)

وَعَلَّمَنَا أَنْ نَستَبِينَ مَقَالَهُمْ * وَنَأْخُذَ مِنْهُمْ فِي مَسَاعِيهِمُ الحِذْرا (٣)

حَلَفْتُ بِمَا بَيْنَ الحَطِيمِ وَزَمْزَمٍ * وَبِالْبَابِ وَالمِيزَابِ وَالْكَعْبَةِ الغَرَّا (٤)

وَبِالزَّائِرِيهَا يَرْتَجُونَ مَلِيكَهُمْ * لِمَا فَرَّطُوا فِي العَمْدِ وَالخَطَإِ الغَفْرا (٥)

وَبِالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يُرْجَى ثَوَابُهَا * وَبِالصَّوْمِ يُولِيهِ الحَفِيُّ بِهِ شَهْرا (٦)

لَمَا كانَ لِي فِي الشَّرِّ بَاعٌ وَلَا يَدٌ * وَلَا كُنْتُ مَنْ يَبغِي مَدَى عُمْرِهِ الشَّرَّا (٧)

وَلَكِنَّ مَحْتُومَ المَقَادِيرِ قَدْ جَرَى * بِمَا اللهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَهُ أَجْرَى (٨)

وَفِي عِلْمِ مَوْلَايَ الكَرِيمِ خَلَائِقِي * قَدِيمًا وَحَسْبِي عِلْمُهُ شَاهِدًا بَرًّا (٩)

فَعَفْوًا أَبَا الْعَبَّاسِ لَا زِلْتَ قَادِرًا * عَلَى الْأَمْرِ إِنَّ الْعَفْوَ مِنْ قَادِرٍ أَحْرَى! (١٠)

«مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ» وَامْنَحِ العَفْوَ تَبْتَغِي * زَكَاةً لِمَا أَوْلَاكَ رَبُّكَ أَوْ شُكْرَا (١١)

---

(١) الآلا : النعم ، والعمر هنا ظرف زمان ، والمعنى مدى العمر . (٢) الذكر : القرآن كريم . يقول : إن الذين يمشون بالسوء بين الناس ذكرهم الله فى كتابه العزيز ، يشير إلى قوله تعالى : «همّاز مشاء بنميم» . (٣) الحذر بكسر الحاء وسكون الذال : الحذر بفتحها . يشير إلى قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» .

(٤) الحطيم : موضع من الحرم المكى . والميزاب : مسيل المطر . والمراد ميزاب الكعبة .

(٥) مليكهم : ربهم . والغفر : الغفران . (٦) حفى بالشىء من باب علم واحتفى به : أكرمه ، وأظهر الفرح به . (٧) الباع : قدر مدّ اليدين ، والمراد أنه لم يحدث الشر ولم يدخل فيه مطلقا .

(٨) أم الكتاب : اللوح المحفوظ . (٩) الخلائق : جمع خليقة ، وهى السجية والطبيعة . بر بفتح الباء : رحيا شفيقا . (١٠) أحرى : أحق وأجدر . (١١) ملكت فأسجح : مثل مضروب . والاسجاح : أحسن العفو .

أيَجمُلُ في دِينِ المُروءةِ أنَّني * أكابِدُ في أيَّامِكَ البُؤسَ والعُسرا ؟

ولي فيكَ آمالٌ ضَمينٌ بِنُجْحِها (١) * وفاؤكَ ، لا أرجو سِواكَ لها ذُخْرا

فمُنَّ فقد ألفيتَ موضعَ مِنَّةٍ (٢) * وربُّكَ لا ينسى لِذي مِنَّةٍ أجْرا

وقال يتغزل :

كتبتُ ولولا دمعُ عيني سائلٌ * تلظَّى جَوابي من تلهُّبِ أنفاسي (٣)

وعندي من الأشواقِ ما لم يبحْ بِهِ * لِسانُ يراعٍ في مسامعِ قِرطاسِ (٤)

ولي من تباريحِ الهوى وشُجونِهِ * أحاديثُ تُلهي الشَّربَ عن لذَّةِ الكاسِ (٥)

ولو كنتُ من دهري أنالُ مآربي * لسِرتُ لكمْ سعياً على العينِ والرَّاسِ

وكتب إلى السيد عبد الهادى نجا الأبيارى يعتذر عن عدم إجابة دعوة لم تصل إليه :

يا مَن بديعُ حُلاهُ * تُزري البديعَ وتُنسي (٦)

* * *

وافتْ عقيلةُ نظمٍ * تتلو فصاحةَ قُسِّ (٧)

كالبدرِ لاحَ سَناهُ * من بعدِ مغربِ شمسِ

(١) النجح بضم النون : النجاح . والذخر بضم الذال والذخيرة : ما يدخر لوقت الحاجة .

(٢) فمن : فأحسن . المنة بكسر الميم : الإحسان . (٣) تلظى : التهب واحترق . ويريد بالجواب الصحيفة التي ضمنها خطابه . (٤) اليراع : يريد القلم . والقرطاس الصحيفة التي يكتب فيها .

(٥) تباريح الهوى : حرقته . والشجون جمع شجن بفتح الشين والجيم : وهو الهم والحزن والشرب بفتح الشين : الشاربون . (٦) البديع في الشطر الثاني هو بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات المشهورة والأسلوب المسجع ، من كتاب القرن الرابع الهجرى . (٧) قس بن ساعدة الأيادى الخطيب الجاهلي .

فغـادرتني صريعًا * نشوانَ من غير كأس

فمُنَّ بالعفو إنِّي * منـه على غير يأس

وإنْ عتبتَ فحقٌّ * وما أبرِّئُ نفسي

وله يشكر الخديو توفيق على إجابة ملتمس له :

بعَلِيِّ مجـــدِك تفخرُ العلْيـاءُ (١) * وبجودِ كفِّك تقتـدى الأنواءُ

وإليكَ ينتسبُ الكمالُ وينتهي (٢) * كرمُ الجـلالِ وينتمي الكرماءُ

وعليكَ مِنْ نورِ الإلهِ جلالةٌ (٣) * تعنـو لديكَ لعِزِّها العظماءُ

ومحبـةٌ غدتِ القلوبُ بأسرِها (٤) * أسرى لهـا وانقادتِ الأهواءُ

فلتفخرِ الدنيـا بمجدِك والعلا * والمُـلْكُ والوزراءُ والكبراءُ

مولايَ! دعوةَ عبدِ رِقٍّ مُخلِصٍ * ناءٍ (٥) يقـرِّبه إليـك ولاءُ

أوليتَني مِنْ جودِ كفِّك نعمةً * غـرّاءَ (٦) كانتْ قبلَها آلاءُ

فلأشكرنَّ نداكَ ما صحبتْ يدي * قلمًا (٧) ، وصاحبَ منطقي إصغاءُ

---

(١) العلى : العالى . والعلياء : السماء . والأنواء : جمع نوء بفتح النون وسكون الواو ، وهو المطر .

(٢) تعنو : تذل وتخضع . (٣) انتهى الكرم إليه : اتصل به . وانتمى : انتسب .

(٤) بأسرها : أى جميعها . والأهواء : الميول . (٥) ناء : بعيد المكان .

(٦) النعمة الغراء : الحسنة . وكانت — هنا — تامة . والآلاء : النعم ، أى : سلفت الى نعم منك قبل هذه النعمة . (٧) النـدى : الجود والعطاء . والإصغاء : الاستماع ، والمعنى أنه سيظل شاكرا ما بقى قادرا على الكتابة ، وما بقى الممدوح مستمعا له .

١٠ – الشيخ على الليثى [1]

قال يرثى محمود باشا الفلكى وقد صادف أن تهاوت نيازك ليلة وفاته :

أَرَى النَّيَازِكَ عَنْ سَامٍ مِنَ الْفَلَكِ * مَذْعُورَةً أَصْبَحَتْ تَصْبُو إِلَى الدرَكِ [2]

كَالطَّيْرِ فَاجَأَهَا الْبَازِى وَأَذْهَلَهَا * لَحَاكَتِ الْبَرْقَ وَانْقَضَّتْ عَنِ الْحُبُكِ [3]

نَعَتْ إِلَيْنَا الرَّئِيسَ الْجِهْبِذِىَّ ، وَقَدْ * قَالَتْ : تَعَزَّوْا فَمَا حَىٌّ بِمُتَّرَكِ [4]

يَا نَفْسُ هٰذَا مُصَابٌ قَدْ أَصَابَ فَمَا * أَبْقَى فُؤَادَ صَبُورٍ غَيْرَ مُرْتَبِكِ

* * *

أَلَيْسَ نَسْرُ سَمَاءِ الْعِلْمِ قَدْ عَلِقَتْ * كَفُّ الْمَنُونِ بِهِ فَانْحَازَ فِى الشَّرَكِ [5]

الصَّبْرَ يَا نَفْسُ ، وَاسْتَبْقِى مَنَايِحَهُ * أَوْ فَالتَّصَبُّرَ إِنْ تَبْغِى الْهُدَى فَلَكِ [6]

حَلَّ الْقَضَاءُ وَنَاعِى الْمَجْدِ أَرَّخَنَا * قَدْ مَاتَ مَحْمُودُ بَاشَا الْمُسْنَدُ الْفَلَكِى

١٧١ ١٨٥ ٣٠٤ ٩٨ ٤٤ ١٠٤ ١٣٠٣

---

(١) هو الشاعر الكاتب المحاضر المنادر ، شاعر الخديو إسماعيل باشا فتوفيق باشا . ظهر بالشعر والأدب وصار فى معية إسماعيل باشا . ولما خلفه توفيق أبقى عليه فأخلص له الشيخ ، وخاصة أيام الثورة ، وشعره متوسط . وتوفى سنة ١٣١٣ هـ . (٢) النيازك : جمع نيزك بفتح النون : شعلة ترى على شكل الرمح ، وهو من الشهب المتساقطة . والدرك : أسفل السفل . (٣) البازى : نوع من الصقور . ويريد بالحبك السماء . (٤) الجهبذ : الناقد العارف بتمييز الجيد من الردىء . ومترك بتشديد التاء وفتح الراء : متروك . (٥) علقت به : تعلقت . والمنون : الموت . والشرك : حبائل الصائد . (٦) المنايح : يريد بها جمع مناحة ، هى موضع البكاء على الميت ، والمراد بها هنا البكاء نفسه .

وقال فى عقب الثورة العرابية ـ من قصيدة طويلة :

كُلُّ حَالٍ لِضِــدِّهِ يَتَحَــوَّلْ * فَالْزَمِ الصَّــبْرَ إِذْ عَلَيْهِ الْمُعَوَّلْ (١)

يَا فُؤَادِى ٱسْتَرِحْ فَمَا الشَّأْنُ إِلَّا * مَا بِهِ مَظْهَــرُ الْقَضَـاءِ تَنَزَّلْ

رُبَّ سَاعٍ لِحَتْفِهِ وهْوَ مِمَّنْ * ظَنَّ بِالسَّــعْىِ لِلْعُـلَا يَتَوَصَّلْ (٢)

قَــدَرٌ غَالِبٌ وَسِــرٌّ الْخَفَـايَا * فَوْقَ عَقْلِ الْأَرِيبِ مَهْمَا تَكَمَّلْ

غَايَةُ الْعَقْــلِ حَسْــرَةٌ وَعِقَالٌ * واللَّبِيبُ الذَّكِىُّ مَنْ قَدْ تَأَمَّلْ

كَيْفَ نَنْسَى وَحَادِثَاتُ اللَّيَـالِى * فَاجَأَتْنَـا بِكَارِثٍ لَيْسَ يُحْمَلْ

أَذْهَبَتْ أَنْفُسًـا وَغَالَتْ نَفِيسًا * وَذَوَى مَرْبَعُ الْحُظُوظِ وَأَمْحَـلْ (٣)

* * *

وَإِذَا المرءُ كَانَ بالوَهْمِ يَبْنِى * فَخَيَـالُ الظُّنُونِ مَا قَدْ تَمَثَّــلْ

وَيْحَ قَــوْمٍ سَـعَوْا لإدراكِ أَمْرٍ * دُونَ إِدْرَاكِهِ الجِبَـالُ تُزَلْزَلْ

مَا أَصَرُّوا عَلَيْــهِ إِلَّا أَضَــرُّوا * بِأُنَاسٍ مِنْ نَابِهٍ أَوْ مُغَفَّــلْ (٤)

ذَاكَ يَسْــعَى عَلَى التُّقِيَّــةِ خَوْفًا * وَسِــوَاهُ سَــعَى لِكَيْمَا يُحَمَّلْ (٥)

لَوْ أَصَابُوا الرَّشَادَ عِنْـدَ ٱبْتِـدَاءٍ * كَانَتِ الغَـايَةُ الجَمِيـلَةُ أَمْثَـلْ

---

(١) عليه المعوّل : عليه المعتمد فى الشدّة . (٢) الحتف : الهلاك .

(٣) أمحـل : أجدب . يريد أن حادثات الثورة أضاعت الأرواح والنفائس من مال ومتاع ، وأصبحت الحظوظ لا يرجى منها خير ولا أمل . (٤) أصروا عليه : عزموا وثبتوا على عزمهم .

(٥) التقية : التقى ، وهو الخشية والحذر .

وقال يصف السفينة وهو عائد من برلين :

أَصْبحَ الوَقْتُ بَاسِمًا بالسُّرُورِ * كَابتِسَامِ الرَّبِيعِ وَقْتَ الزُّهُورِ

أيْنَ أَلْقَى ظَرِيفَ طَبْعٍ لَطِيفًا * كَيْ نُدِيرَ الحَدِيثَ مِثْلَ الخُمُورِ

فَوْقَ ظَهْرِ السَّفِينِ نُحْسِنُ وَصْفًا * حَيْثُ يَجْرِى عَلَى صَفَاءِ البُحُورِ

* * *

وتَرَاهُ يَخْتَالُ وَهْـــو مُعَـــنَّى * وَيْحَــهُ كَمْ يَجُــرُّ ذَيْلَ الفَخُورِ (١)

ذَيْـــلُهُ يَرْسُمُ الْمَجَرَّةَ عُجْبًـا (٢) * بَيْنَ مَوْجٍ يُضِيءُ مِثْلَ البُــدُورِ

١١ — السيد عبد الله نديم (٣)

قال يتغزل :

سَلُوهُ عَنِ الأَرْوَاحِ فَهْىَ مَلاعِبُــهْ * وَكُفُّوا إِذَا سَــلَّ المُهَنَّدَ حَاجِبُهْ

وَعُودُوا إِذَا نَامَتْ أَرَاقِمُ شَــعْرِهِ (٤) * وَوَلُّوا إِذَا دَبَّتْ إِلَيْكُمْ عَقَــارِبُهْ

وَلاَ تَذْكُرُوا الأَشْبَاحَ، بِاللهِ، عِنْدَهُ * فَلَوْ أَتْلَفَ الأَرْوَاحَ مَنْ ذَا يُطَالِبُهْ؟

أَرَاهُ بِعَيْــنِى وَالدُّمُوعُ تُكَاتِبُــهْ * وَيَحْجُبُ عَنِّى وَالفُــؤَادُ يُرَاقِبُــهْ

---

(١) المعنى بضم الميم وفتح العين وتشديد النون المفتوحة : المتعب المكدود . وويحه : رحمة له . والفخور بفتح الفاء : الكثير التفاخر . (٢) المجرة بفتح الميم وتشديد الراء المفتوحة : نجوم كثيرة لا يميزها البصر بل يراها كبقعة بيضاء . (٣) يعدّ السيد عبد الله نديم فى مقدّمة الخطباء العرابيين، وكان لا يجارى فى سرعة البديهة وشدة التأثير فى سامعيه بالعامية وغيرها، ويعدّ متأثرا بجمال الدين الأفغانى كالشيخ محمد عبده، وله مع ذلك شعر ونثر جيدان . توفى بالقسطنطينية سنة ١٨٩٦ م .

(٤) الأراقم : أخبث الحيات ، واحدها : أرقم . والعقارب هنا شعر الأصداغ . شبه بها لانعطافه ، كأذنابها على العين .

فَهَـلْ حَاجَةٌ تُدْنِي الحَبِيبَ لِصَبِّهِ * سِوَى زَفْرَةٍ تَثْنِي الحَشَا وَتُجَاذِبُهْ ؟

فَـلَا أَنَا مِمَّنْ يَتَّقِيـــهِ حَبِيبُهُ * وَلَا أَنَا مِمَّنْ بِالصُّـدُودِ يُعَاتِبُـهْ

فَـلَوْ أَنَّ طَرْفِي أَرْسَلَ الدَّمْعَ مَرَّةً * سَـفِيرًا لِقَـلْبِي مَا تَوَالَتْ كَتَائِبُـهْ (١)

١٢ – الشيخ نجيب الحدّاد (٢)

وقال الشيخ نجيب الحدّاد يمدح مصر والمصريين :

يَا أَرْضَ مِصْرَ تَحِيَّـةٌ وَسَـــلَامُ * وَسَقَاكِ مِنْ صَوْبِ الْغَمَامِ رُكَامُ (٣)

بَلْ أَنْتِ غَانِيَةٌ عَنِ الْمَطَرِ ٱلَّذِي * يَهْمِي ؛ فَإِنَّ النِّيــلَ فِيكِ غَمَـامُ (٤)

نَهْـرٌ تَبَارَكَ مَاؤُهُ ، فَتَـكَادُ أَنْ * تُمْحَى بِطُهْـرِ مِيَـاهِـــهِ الآثَامُ (٥)

وَيَكَادُ لَوْ رَشَفَ الْعَلِيـلُ زُلَالَهُ * يُشْفَى ٱلْعَلِيلُ وَتَذْهَبُ ٱلْأَسْـقَامُ (٦)

يُحْيِي ٱلْبِـــلَادَ بِمَـائِهِ ؛ فَكَأَنَّهُ الرُّ * وحُ ٱلَّتِي تَحْيَـا بِهَـا ٱلْأَجْسَامُ (٧)

---

(١) الكتائب : جمع كتيبة بفتح الكاف ، وهى القطعة من الجيش . (٢) نشأ الشيخ نجيب الحدّاد نشأة أدبية ، فصار شاعرا رقيقا وكاتبا بليغا ؛ له روايات شتى تأليفا وترجمة . توفى سنة ١٨٩٩ م .

(٣) وسقاك : الخبر هنا للدعاء ، فهو يتمنى لأرض مصر الرى والسقيا من الغمام . وصوب الغمام : نزوله . والغمام : السحاب . والركام (بضم الراء) : المتراكب بعضه فوق بعض .

(٤) الغانية : الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة ، أو ذات المال الذى تستغنى به عن الغير . والمراد هنا أنها غنيت بوفر مائها الذى يتدفق من النيل عن المطر . ويهمى : يسقط غزيرا .

(٥) تبارك ماؤه : خصه الله بالبركة والخير . تمحى : تزال . الآثام : الذنوب .

(٦) رشف : امتص الماء بشفتيه قليلا قليلا . والعليل : المريض . والماء الزلال (بضم الزاى) : العذب الصافى . (٧) يحيى البلاد : يبعث الحياة فى أهلها وزرعها وطيرها وسائمها بفضل مائه الذى لا ينقطع . والروح : سر الحياة فى الجسم . يريد أن النيل روح مصر وسر حياتها ، ولولاه لأصبحت صحراء يابسة .

إنْ شَابَهُ كَدَرٌ فَفِي أَكْدَارِهِ * صَفْوٌ وَفِي فَيَضَانِهِ إِنْعَامُ (١)

أَرْضٌ إذا لَمْ يَعْلُ فِي أَرْجَائِهَا * عَلَمٌ فَإِنَّ كِرَامَهَا أَعْلَامُ (٢)

لَبِسَتْ مِنَ الْمَجْدِ التَّلِيدِ مَطَارِفًا * وَلَهَا مِنَ الْمَجْدِ الطَّرِيفِ وِسَامُ (٣)

وَتَعَانَقَتْ وَالْفَخْرَ مِنْ قِدَمٍ كَمَا * قَدْ عَانَقَتْ أَلِفَ الْكِتَابَةِ لَامُ (٤)

مَجْدٌ بِهِ هَرِمَ الزَّمَانُ وَلَمْ يَزَلْ * غَضًّا وَقَدْ شَهِدَتْ بِهِ الْأَهْرَامُ (٥)

هَرَمَانِ زَانَا صَدْرَ مِصْرَ فَأَشْبَهَا * نَهْدَيْنِ زَانَهُمَا سَنًى وَتَمَامُ (٦)

نَهْدَانِ كَانَ الدَّهْرُ يَرْضَعُ مِنْهُمَا * إِنَّ الزَّمَانَ لِمَجْدِ مِصْرَ غُلَامُ (٧)

أَرْضُ الْفَرَاعِنَةِ الَّذِينَ بَنَوْا لَهَا * فِي الدَّهْرِ مَا لَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ

بُنْيَانَ عِزٍّ فِي السُّطُورِ مُخَلَّدٍ * وَبِنَاءَ مَجْدٍ فِي الصُّخُورِ يُقَامُ

لَا بِدْعَ إِنْ بَقِيَتْ مَآثِرُهُمْ فَقَدْ * بَقِيَتْ جُسُومُهُمُ وَهُنَّ رِمَامُ (٨)

---

(١) شابه: خالطه. ويريد بأكداره مايحمله من الغرين (الطمى) إبان الفيضان، فان فيه زيادة فى خصب الأرض ونمائها: وهذا ماعبر عنه بالصفو ليقابل به الأكدار. إنعام: أى وفى فيضانه نعمة وخير للوطن.

(٢) العلم بفتحتين: الجبل الطويل. والأعلام: جمع علم بفتحتين وهو سيد القوم. يريد أن مصر إذا خلت أرضها من الجبال الضخمة العظيمة فان فيها السادة العظماء من رجالها. (٣) التليد: القديم. المطارف: جمع مطرف بكسر الميم وفتح الراء، وهو الثوب من الحرير. والطريف: الجديد. والوسام: شارة الفخر. وقد صرف (مطارف) لضرورة الشعر. (٤) يريد أن الفخر لازمها من قديم الزمان لما فاض به تاريخها من حضارة سبقت بها الأمم. (٥) هرم: شاب وكبرت سنه. غضا: ناضرا. والمراد أن مجد مصر مرت عليه الأزمان الطويلة فأهرمها وهو ما زال فى عنفوان شبابه ونضرته.

(٦) النهد (بفتح النون): الثدى وجمعه نهود. والسنى (بفتح السين والنون): الضوء. والتمام (بتثليث التاء): الكمال. (٧) يقول إن هرمى مصر كانا فى العصور الغابرة بمثابة نهدين يرضع منهما الزمن. يكنى بذلك عما كانت عليه مصر من حضارة وعظمة فى الوقت الذى كان فيه العالم كالطفل لجهالته وتأخره.

(٨) لا بدع: لا غرابة ولا عجب. رمام: جمع رمة بكسر الراء وتشديد الميم المفتوحة وهى الجسم البالى. يقول لا غرابة فى بقاء آثارهم من أهرامات ومعابد، فهذه جسومهم وهى رهن البلى، مازالت باقية لم تندثر بفضل نبوغهم وتقدمهم فى فن التحنيط.

١٣ – مصطفى بك نجيب [١]

قال يشكر بعض الأدباء على ساعة أهداها إليه :

مَتَّعَنَا أَخٌ كَرِيمٌ حَسَبَا * وَحَاتِمِيٌّ مَحْتِداً وَنَسَبَا [٢]

بِسَاعَةٍ مِنْ خَيْرِ ما قَدْ جَلَبَا * مَا إِنْ رَأَتْ عَيْنٌ لَهَا مُضْطَرِبَا [٣]

تَمْشِي مَعَ الزَّمَانِ سَيْراً عَجَبَا * لَا تُخْطِئُ الْوَقتَ وَلَوْ تَذَبْذَبَا [٤]

كَأَنَّ بِالنَّجْمِ لَهَا مُنْتَسَبَا * وَبِذُكَاءَ لُحْمَةً وَنَسَبَا [٥]

حَتَّى إِذَا وَقْتُ الزَّوَالِ وَجَبَا * وَرَامَتِ الشَّمْسُ لَهَا مُنْقَلَبَا [٦]

* رَأَيْتَ فِيهَا الْعَقْرَبَيْنِ عَقْرَبَا *

وكتب على يد مروحة :

إِذَا يَدٌ لَعِبَتْ بِي * قَابَلْتُهَا بِهَوَاهَا

مَزَجْتُ لُطْفَ نَسِيمِي * بِلُطْفِ رَيَّا مُنَاهَا [٧]

فَزَادَهَا الرِّيحُ وَجْدًا * وَزَادَهَا الْوَجْدُ آهَا [٨]

جَاءَتْ لِتَبْرُدَ شَوْقًا * فَزِدْتُ مِنْهَا جَوَاهَا [٩]

---

(١) هو ابن محمد نجيب ، أديب إدارى ، وكاتب شاعر مقل ، صاحب كتاب (حماة الإسلام) ، ومقالات (أحلام الأحلام) . توفى سنة ١٣٢٠ هـ . (٢) حاتمى : نسبة إلى (حاتم الطائى) الذى ضرب به المثل فى الكرم ، وهو من أجواد العرب . والمحتد : الأصل . (٣) مضطربا : تقدما أو تأخرا عن السير الطبيعى للزمن . (٤) تذبذب : اضطرب وخرج عن حركته الطبيعية فى السير . (٥) ذكاء (بضم الدال) : الشمس . ولحمة (بضم اللام) : قرابة . (٦) وقت الزوال : هو الوقت الذى يزول فيه الظل حين تصل الشمس إلى كبد السماء ، أى فى الساعة الثانية عشرة تماما . (٧) الريا (بفتح الراء وتشديد الياء) : الريح الطيبة ، كأنما رويت من الطيب والعطور فى مسراها ، مؤنث ريان . والمنى : جمع منية بضم الميم وتسكين النون ، وهى ما تتمناه النفس من خير . (٨) وجدا : صبابة وشوقا . وآها : تأوها من فرط الحنين . (٩) لتبرد : لتلتمس بردا من شدة حرارتها . والجوى : شدة الوجد .

١٤ – محمود باشا سامى البارودى (١)

قال فى الفخر وهو من قصيدة طويلة :

سِوَاىَ بِتَحْنَانِ الأَغَارِيدِ يَطْرَبُ * وَغَيْرِى بِاللَّذَّاتِ يَلْهُو وَيُعْجَبُ (٢)

وَمَا أَنَا مِمَّنْ تَأْسِرُ الخَمْرُ لُبَّهُ * وَيَمْلِكُ سَمْعَيْهِ اليَرَاعُ المُثَقَّبُ (٣)

وَلٰكِنْ أَخُو هَمٍّ إِذَا مَا تَرَجَّحَتْ * بِهِ سَوْرَةٌ نَحْوَ العُلَا رَاحَ يَدْأَبُ (٤)

نَفَى النَّوْمَ عَنْ عَيْنَيْهِ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ * لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الأَسِنَّةِ مَطْلَبُ (٥)

وَمَنْ تَكُنِ العَلْيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ * فَكُلُّ الَّذِى يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبُ

إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ المَكَارِمَ حَقَّهَا * فَلَا عَزَّنِى خَالٌ وَلَا ضَمَّنِى أَبُ

***

خُلِقْتُ عَيُوفًا لا أَرَى لِابْنِ حُرَّةٍ * عَلَىَّ يَدًا أُغْضِى لَهَا حِينَ يَغْضَبُ (٦)

فَلَسْتُ لِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ مُتَوَقِّعًا * وَلَسْتُ عَلَى شَىْءٍ مَضَى أَتَعَتَّبُ (٧)

---

(١) هو محمود سامى باشا بن حسن حسنى بك البارودى . أحد زعماء الثورة العرابية . ولد سنة ١٢٥٦ هـ . وتعلم بالمدرسة الحربية ، وترقى فى مناصب الجيش وغيرها حتى رأس النظار قبيل الثورة العرابية ، ونفى بعدها إلى سرنديب ، ثم عاد إلى مصر ، وبها مات سنة ١٣٢٢ هـ . والبارودى عصامى فى نشأته الأدبية الشاعرة ، يعد شعره صورة مقاربة للفحول السابقين : جزل الأسلوب ، ضخم المعانى ، متنوع الفنون . له ديوان ومختارات . (٢) التحنان بفتح التاء : الحنين . والأغاريد : جمع أغرودة بضم الهمزة ، غناء الطائر . ويعجب بالشىء بالبناء للمجهول : يسر منه . (٣) يريد بسمعيه أذنيه . واليراع : القصب الذى يزمر به الراعى ، وواحدته يراعة . والمثقب : ذو الثقوب التى تعين النافخ على الصفير ، وتنوع الألحان . (٤) الهم — هنا : الهمة . وترجحت به : مالت به . ويريد بالسورة النزعة القوية . (٥) الأسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح . (٦) العيوف بفتح العين : الشديد الأنفة . واليد : النعمة . أغضى لها : أطبق جفنى ذلا وندما . (٧) أتعتب : أغضب .

اسـيرُ عَلَى نَهجٍ يَرَى النَّاسُ غَيرَهُ * لِكُلِّ امْرِئٍ فِيمَا يُحَاوِلُ مَذْهَبُ (١)

وَإِنِّى إِذَا مَا الشَّـكُّ أَظْلَمَ لَيْـلُهُ * وَأَمْسَتْ بِهِ الْأَحْلَامُ حَيْرَى تَشَعَّبُ (٢)

صَدَعْتُ حِفَافَىْ طُرَّتَيْهِ بِكَوْكَبٍ * مِنَ الرَّأْيِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ الْمُغَيَّبُ (٣)

وقال يتشوّق وهو فى المنفَى :

رُدُّوا عَلَيَّ الصِّبَا مِنْ عَصْرِىَ الْخَالِى * وَهَـلْ يَعُودُ سَـوَادُ اللِّمَّةِ الْبَالِى؟ (٤)

لَمْ يَـدْرِ مَنْ بَاتَ مَسْرُورًا بِلَذَّتِهِ * أَنِّى بِنَارِ الْأَسَى مِنْ هَجْرِهِ صَالِى (٥)

يَا غَاضِـبِينَ عَلَيْنَا هَـلْ إِلَى عِدَةٍ * بِالْوَصْـلِ يَوْمٌ أُنَاغِى فِيـهِ إِقْبَالِى (٦)

غِبْـتُمْ فَأَظْلَمَ يَوْمِى بَعْـدَ فُرْقَتِكُمْ * وَسَاءَ صُنْعُ اللَّيَـالِى بَعْـدَ إِجْمَالِ (٧)

فَالْيَوْمَ لَا رَسَنِى طَوْعُ الْقِيَادِ وَلَا * قَلْبِى إِلَى زَهْرَةِ الدُّنْيَـا بِمَيَّـالِ (٨)

أَبِيتُ مُنْفَرِدًا فِى رَأْسِ شَاهِقَـةٍ * مِثْلَ الْقَطَامِىِّ فَوْقَ الْمَـرْبَإِ الْعَالِى (٩)

وقال يرثى أباه لما ناهز العشرين :

لَا فَارِسَ الْيَـوْمَ يَحْمِى سَرْحَةَ الْوَادِى * طَاحَ الرَّدَى بِشِهَابِ الْحَرْبِ وَالنَّادِى (١٠)

---

(١) المذهب : الطريقة . (٢) الأحلام : العقول . وتشعب : تتشعب أى تختلف وتتفرق .

(٣) حفافا الشىء : جانباه . الطرة : الناصية ، يقول إنه اذا أشكل الأمر وتحيرت فيه العقول أناره برأى كالكوكب فى وضوحه و إشراقه . (٤) اللمة بكسر اللام وتشديد الميم : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، وهو يريد شعر الرأس على الإطلاق . ويريد بالبالى الذى تغير لونه فبيضه المشيب .

(٥) الأسى : الحزن . يصلى النار من باب علم ، وصلى بها فهو صال : قاسى حرها أو احترق بها .

(٦) العِدَة بكسر العين وفتح الدال : الوعد . وناغى الصبى : كلمة بما يعجبه و يسره . (٧) الإجمال : الاحسان . (٨) الرسن بفتحتين : الحبل الذى تقاد به الدابة . (٩) يريد بالشاهقة الجبل المرتفع . والقطامى بفتح القاف وضمها : الصقر . والمربأ : المكان الذى يقف فيه من يرقب .

(١٠) السرحة بفتح السين : الشجرة العظيمة يستظل فيها . والمراد : يحمى حرمه . وطاح به : أهلكه . والردى بفتح الدال : الموت . والشهاب : الكوكب . يريد أنه كان كالكوكب فى انقضاضه على محاربيه ، كما كان فى مجتمع القوم زينتهم كالكوكب أيضا فى تألقه .

مَاتَ الذى تَرْهَبُ الأَقرانُ صولَتَهُ (١) * وَيتَّقِى بَأْسَهُ الضِّرْغامةُ العادى
مَضَى وخلَّفَنى فى سِنِّ سابعةٍ * لا يَرْهَبُ الخَصْمُ إبْرَاقِى وإرْعادى (٢)
فإنْ أكُنْ عِشْتُ فَرْدًا بينَ آصِرَتى (٣) * فَهأنا اليومَ فَرْدٌ بَيْنَ أنْدادى

ومن قصيدة له يرثى بها زوجته، وقد ماتت فى مصر وهو لا يزال فى منفاه :

لا لَوْعَتِى (٤) تَدَعُ الفُؤادَ، وَلا يَدِى * تَقْوَى عَلى رَدِّ الحَبيبِ الغَادى
يا دَهْرُ ! فِيمَ فَجَعْتَنِى بِحَلِيلةٍ * كانَتْ خُلاصةَ عُدَّتِى وَعَتَادى (٥)
إنْ كُنتَ لَمْ ترْحَمْ ضَنَاىَ (٦) لِبُعْدِها * أفَلا رَحِمْتَ مِنَ الأسَى أوْلادى؟
وَمِنَ البَلِيَّةِ أنْ يُسامَ (٧) أخُو الأسَى * رَعْىَ التَّجَلُّدِ، وَهْوَ غَيْرُ جَمادِ
هَيْهاتَ بَعْدَكِ أنْ تقَرَّ جَوانِحِى * أسَفًا لِبُعْدِكِ، أوْ يَلِينَ مِهَادى (٨)
وَلَهِى عَلَيْكِ مُصاحِبٌ لِمَسِيرَتى * وَالدَّمْعُ فِيكِ مُلازِمٌ لِوِسَادى (٩)
فإذا انتَبَهْتُ فَأنتِ أوَّلُ ذِكْرَتِى * وإذا أوَيْتُ فَأنْتِ آخِرُ زَادِى (١٠)

---

(١) الأقران : جمع قرن بكسر القاف، وهو المناظر فى الشجاعة وغيرها . صولته : سطوته وبطشه فى النضال . والضرغامة : الأسد . والعادى : الصائل . (٢) إبراقه وإرعاده : تهديده ووعيده . (٣) يريد بآصرته : أهل قرابته وأصحاب مودّته . (٤) اللوعة : ألم الفراق . والغادى : الذاهب، من : غدا يغدو إذا ذهب فى الصباح، والمراد هنا من الغادى : الذاهب عن الدنيا .
(٥) العدّة، والعتاد : ما يعده المرء لشأنه . يريد أنها كانت سنده فى الحياة وعونه .
(٦) الضنا : الضعف والسقم . والأسى : الحزن . (٧) سامه الأمر : كلفه إياه . والرعى : المراعاة . (٨) تقر : تهدأ . والجوانح : الأضلاع، مفردها : جانحة . والمهاد : الفراش . (٩) الوله : أشدّ الحزن . والمسيرة : السير، والمراد بها هنا العمر والحياة، أى أن حزنه سيصاحب أيام حياته . والوساد : المخدة والمتكأ . (١٠) انتبهت : استيقظت . والذكرة : الذكر . وأويت : دخلت فى فراشى . والزاد : ما يتزوّد به .

وقال يصف الحرب :

وَلَمَّا تَدَاعَى الْقَوْمُ وَاشْتَبَكَ الْقَنَا * وَدَارَتْ، كَمَا تَهْوَى عَلَى قُطْبِهَا الْحَرْبُ (١)

وَزُيِّنَ لِلنَّاسِ الْفِرَارُ مِنَ الرَّدَى * وَمَاجَتْ صُدُورُ الْخَيْلِ وَالْتَهَبَ الضَّرْبُ (٢)

وَدَارَتْ بِنَا الأَرْضُ الْفَضَاءُ كَأَنَّنَا * سُقِينَا بِكَأْسٍ لَا يُفِيقُ لَهَا شَرْبُ (٣)

صَبَرْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ سَمَاؤُهَا * وَإِنِّي صَبُورٌ إِنْ أَلَمَّ بِيَ الْخَطْبُ (٤)

وقال يصف الفراق :

مَحَا الْبَيْنُ مَا أَبْقَتْ عُيُونُ الْمَهَا مِنِّي * وَشِبْتُ وَلَمْ أَقْضِ اللُّبَانَةَ مِنْ سِنِّي (٥)

عَنَاءٌ وَيَأْسٌ وَاشْتِيَاقٌ وَغُرْبَةٌ * أَلَا شَدَّ مَا أَلْقَاهُ فِي الدَّهْرِ مِنْ غَبْنِ (٦)

فَإِنْ أَكُ فَارَقْتُ الدِّيَارَ فَلِي بِهَا * فُؤَادٌ أَضَلَّتْهُ عُيُونُ الْمَهَا عَنِّي (٧)

بَعَثْتُ بِهِ يَوْمَ النَّوَى إِثْرَ لَحْظَةٍ * فَأَوْقَعَهُ الْمِقْدَارُ فِي شَرَكِ الْحُسْنِ (٨)

فَهَلْ مِنْ فَتًى فِي الدَّهْرِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا * فَلَيْسَ كِلَانَا عَنْ أَخِيهِ بِمُسْتَغْنِ

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَأَسْبَلَتْ * مَدَامِعُنَا فَوْقَ التَّرَائِبِ كَالْمُزْنِ (٩)

---

(١) تداعى القوم : دعا بعضهم بعضا للقتال . والقنا : جمع قناة ، وهى الرمح . وشبه الحرب بالرحا فى دورانها على قطبها . وكما تهوى : لا تبالى من تقتل ، ولا من تهزم . (٢) زين إليه الشيء : تراءى له أنه حسن وخير . والردى : الموت . وماجت : اضطربت . (٣) الشرب بفتح الشين : الشاربون .

(٤) تجلت سماؤها : يريد ذهبت شدتها . وصبور : كثير الصبر . وألم بتشديد الميم : نزل . والخطب : الشدة والأمر العظيم . (٥) البين : البعد والفرقة . والمها : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية يضرب بها المثل فى جمال العيون . واللبانة : الحاجة فى غير فاقة . والسن : العمر . ولبانة الشباب : ما يقتضيه من لهو ومرح . (٦) العناء : التعب والمشقة . وألا شد : ما أشد والغبن : يريد به الظلم .

(٧) أضلته : يريد شغلته . (٨) النوى : البعد . وإثر لحظة : عقب لحظة . واللحظة : النظرة بمؤخر العين . والمقدار : قدر الله . والشرك : حبالة الصيد . (٩) أسبلت الدموع : أرسلت وهملت . والترائب : جمع تريبة ، وهى عظمة الصدر ، والمراد بها هنا الصدر . والمزن : المطر .

أَهبتُ بِصَبرِى أَنْ يعودَ فعزَّنِى * وَنَادَيْتُ حِلْمِى أَنْ يَثُوبَ فَلَمْ يُغْنِ (١)

وَمَا هِيَ إلَّا خَطْرَةٌ ، ثُمَّ أَقْلَعَتْ * بِنَا عَنْ شُطُوطِ الحَيِّ أَجْنِحَةُ السُّفْنِ (٢)

فَكَمْ مُهْجَةٍ مِنْ زَفْرَةِ الْوَجْدِ فِي لَظًى * وَكَمْ مُقْلَةٍ مِنْ غَزْرَةِ الدَّمْعِ فِي دَجْنِ (٣)

وَمَا كُنْتُ جَرَّبْتُ النَّوَى قَبْلَ هَذِهِ * فَلَمَّا دَهَتْنِي كِدْتُ أَقْضِي مِنَ الحُزْنِ (٤)

وَلَكِنَّنِي رَاجَعْتُ حِلْمِي وَرَدَّنِي * إلَى الحَزْمِ رَأْيٌ لَا يَحُومُ عَلَى أَفْنِ (٥)

وَلَوْلَا بُنَيَّاتٌ وَشَيْبٌ عَوَاطِلٌ * لَمَا قَرَعَتْ نَفْسِي عَلَى فَائِتٍ سِنِّي (٦)

١٥ — حفنى بك ناصف (٧)

قال يخاطب ناظر الحقّانية وقد نقله إلى قنا :

رقَّيْتَنِى حِسًّا ومعنًى * فلِصُنْعِكَ الشُّكْرُ المُثَنَّى

وجعلتَ رأسَ الحاسدِ * ينَ بمصرَ من قَدَمَىَّ أدنَى

(١) أهاب به : دعاه . وعزنى : غلبنى . والحلم : العقل . ويثوب : يرجع . ويغنى : يفيد .

(٢) أقلع عن المكان : تحول عنه . وشطوط : جمع شط ، وهو جانب البحر . والحى : منازل القوم . وأجنحة السفن : أشرعتها . (٣) المهجة : دم القلب ، ويراد بها هنا القلب . الزفرة : النفس الشديد الحار . واللظى : لهب النار . والمقلة : العين . وغزرة الدمع : كثرته . والدجن : الظلمة .

(٤) دهتنى : أصابتنى . وأقضى : أموت ، من قضى الرجل يقضى . (٥) راجعت : استرددت . والحلم : العقل . وحام على الشيء : دار به . والأفن سوء الرأى . (٦) البنيات : جمع بنية ، وهى البنت الصغيرة . والفائت : ما لم يدركه الانسان . وقرع السن : كناية عن الندم . يقول : لولا بناته الصغار ، ولولا من يعولهم من أهله المسنين الذين لا كسب لهم ما ندم على شيء .

(٧) هو القاضى الفاضل والشاعر الكاتب الأستاذ محمد حفنى ناصف ؛ ولد ببركة الحج من أعمال القليوبية ، ودرس بالأزهر ودار العلوم ، فخرج نابغة نابها ، شغل مناصب القضاء والتدريس بالمدارس والجامعة ، فكان مثال الفضل والبراعة وحسن الفكاهة وسرعة البديهة . يمتاز أسلوبه بالجزالة فى النثر والسهولة فى الشعر . توفى سنة ١٩١٩ م .

وجعلتَ سُدَّةَ مَــنزِلِى * من أسقُفِ الحَـرَمَينِ أسْنَى (١)

أسكَنْتَنِي فى بُقعــةٍ * فيهــا غَـدَوتُ أعزَّ شأنا

أرِدُ المشــارعَ سابِقًــا * والسَّبْقُ عنــد الوِرْدِ أهْنــا (٢)

وأزورُ آثارَ المُــلو * كِ، وكنتُ قَبلُ بهــا مُعنَّى (٣)

بَــلَدٌ إذا حَلَّتْ بِــه * قَـدَماكَ قُلْتَ حَلَلْتُ حِصْنا

جَبَــلُ المقطّم حَــوْلَهُ * مُتعطِّفٌ كالنُّونِ حُسنا (٤)

هَيْهاتَ أن يَصِـلَ العــدُ * وُّ له، ويُــدرِكَ ما تَمَـنَّى

* * *

قالوا: شَخَصْتَ إلى قِنــا * يا مَرحَباً «بقِنا» و «إسنا»

قالوا: سَكَنتَ السَّــفحَ قلـ * ـتُ وحَبَّــذا بالسفحِ سُكْنَى

قالوا: قِنــا حَــرٌّ، فقلـ * ـتُ: وهل يَرُدُّ الحُـرَّ قِنَّا؟ (٥)

ســرُّ الحَيــاةِ حَــرارةٌ * لَــوْلاهُ ما طَـيرٌ تغَـنَّى

كَلا! ولا زَهْرٌ تبسَّـ * ـمَ، لا ولا غُصنٌ تَثَـنَّى!

تَتَــدفَّقُ الأنهــارُ مِن * حَــرٍّ، وتُزجِى الريحُ مُزْنا! (٦)

ها قــد أَمِنتُ الــبَرْدَ والـ * ـبُرَداءَ، والقلبُ اطْـمأنَّا (٧)

---

(١) سدّة المنزل (بتشديد الدال): عتبة بابه. (٢) أرد المشارع: آتيها للارتواء. والمشارع: جمع مشرع وهو المنهل يرده الظماء. (٣) معنى: كلفا (بكسر اللام) مشتاقا. (٤) متعطف: منحن كالقوس. (٥) القن: العبد الرقيق. وفاعل يرد يعود على (حر) بفتح الحاء. يقول وهل يصير حر قنا الرجل عبدا رقيقا. (٦) المزن: المطر. واحدته مزنة بضم الميم وسكون الزاى. (٧) البرداء: الثقلاء، جمع بارد وهو الإنسان المتبلد الإحساس.

وُوقِيتُ أمراضَ الرُّطــو * بةِ، واستَرَقَّ الريح وَهْنَا (١)
ألــقَ الهَــواءَ فـلا أَها * بُ لقـاءَه : ظَهْـرا وبطْنا
وأنامُ غَـيرَ مُـدَثَّرٍ * شيئا إذا ما الليـلُ جَنَّا
قـد خَفَّتِ النفَقَـاتُ إذْ * لا أَشـترِى صُـوفاً وقُطنا
وَفَّرتُ من ثَمَـنِ الوَقو * دِ النصْفَ أو نِصْفًا وثُمنا
فالشـمسُ تَكْفُل راحَتِى؛ * فكأنها أُمّى وأَحْـنَى
فإذَا بَـدَتْ لى حاجـةٌ * فى الغُسلِ أَلقَ المـاءَ سُخْنـا
أَوْ رُمْتُ طَبْخًا او عِــلا * جَ الخُبزِ أَلقَ الجَـوَّ فُـرْنا
سُكْنَى القُـرى تَدَعُ السفيـ * ـهَ مُوكَّلًا بالمـالِ مُضْنَى
أَىُّ المــلاهِى فيــه يَصـ * ـرِفُ مالَهَ ومَــتَى وأَنَّى؟
كُلُّ امرِئٍ تلقـاه مِن * بعــدِ الظهــيرة مُسْتَكِنًّا (٢)
ويَرى الغـريبُ السِّـعرَ أيـ * ـسَرَ حالةً، وأخَفَّ غَبْنـا
يَجِــد الحَليبَ بعينــهِ * لَبَنـا، ويُلفِى السَّمْنَ سَمْنـا
عِشْ فى القُـرى رأسًا، ولا * تَسكُنْ مع الأَذْنابِ مُدْنا
ودَعِ الجـزيرةَ وَالمَهَـا * والجسـرَ والظَّبيَ الأَغَنَّا (٣)
واسْــلُ الأغانِى والغَـوا * نِىَ، وَاسْأَلِ الرحمنَ عَدْنا! (٤)

(١) استرق الريح : سرى رقيقا ناعما . الوهن : بسكون الهاء الضعف . (٢) مستكنا : مختبئا .
(٣) الظبي الأغن : الذى فى صوته غنة بضم الغين وتشديد النون المفتوحة . (٤) اسل : فعل أمر من سلا بمعنى ترك ونسى . الغوانى : جمع غانية وهى الحسناء التى غنيت بجمالها عن غيره . وعدن بسكون الدال : جنة عدن .

ولما أشرف على الإحالة على المعاش ببلوغ الستين، كتب إلى المرحوم حسين رشدى باشا ، وكان يومئذ رئيسًا للوزارة ، يسأله أن يمدّ فى أجل خدمته ، فى مفاكهة غاية فى الظَّرف والرقة :

صَاحِبَ الدَّوْلَةِ يا شَيْخَ الْوِزَارَهْ * حَاجَتِي إنْ شِئْتَ تُقْضَى بِإشَارَهْ

نَالَهَا قَبْلِي أُلُوفٌ لَمْ أَكُنْ * دُونَهُمْ عِلْمًا وَلا أَدْنَى إدَارَهْ

نَاهَزَ السِّتِّينَ عُمْرِي إنما * لَمْ أَزَلْ جَمَّ الْقُوَى جَمَّ الجَدَارَهْ (١)

وَإذَا لَمْ يَشْكُ مِثْلِي عِلَّةً * هَلْ مِنَ الحِكْمَةِ أَنْ يَلْزَمَ دَارَهْ ؟

إنَّ تَرْكِي خِدْمَةَ الْأَوْطَانِ مَعْ * طولِ مَا مَارَسْتُ فِي الدُّنْيَا خَسَارَهْ

وَحَيَاتِي كُلُّهَا قَضَّيْتُهَا * تَارَةً فِي الْعَدْلِ وَالتَّعْلِيمِ تَارَهْ (٢)

وقال يتحسر على ضياع علمه بموته :

أَتَقْضِي مَعِي إنْ حَانَ حَيْنِي تَجَارِبِي * وَمَا نِلْتُهَا إلَّا بِطُولِ عَنَاءِ (٣)

وَأَبْذُلُ جُهْدِي فِي اكْتِسَابِ مَعَارِفٍ * وَيَفْنَى الَّذِي حَصَّلْتُهُ بِفَنَائِي (٤)

وَيَحْزُنُنِي أَلَّا أَرَى لِيَ حِيلَةً * لإعْطَائِهَا مَنْ يَسْتَحِقُّ عَطَائِي (٥)

إذَا وَرَّثَ الْجُهَّالُ أَبْنَاءَهُمْ غِنًى * وَجَاهًا ، فَمَا أَشْقَى بَنِي الْعُلَمَاءِ (٦)

---

(١) ناهز : قارب . والجم بتشديد الميم : الكثير . والجدارة : الأهلية والاستحقاق .

(٢) وإن كانت نشأة الشاعر الأولى فى الأزهر ثم فى دار العلوم فقد ولى القضاء فى المحاكم الأهلية مدّة ليست بالقصيرة .

(٣) تقضى : تموت وتفنى . وحان حينى : جاء أجلى . والتجارب : ما يستفيده المرء من خبرة فى ممارسته لشؤون الحياة، مفردها : تجربة . والعناء : الجهد والمشقة .

(٤) حصلته : جمعته .

(٥) العطاء : ما يجود به المرء على غيره . ويريد أن ما حصله من العلم لا يستطيع أن يهبه لمن يستحقه كما يوهب المال مثلا .

(٦) الجاه : علو المنزلة ، ورفعة القدر

١٦ — ولىّ الدين يكن (١)

وَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ

يُرِيدُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا هَنَاءً * وَيَأْبَى أَنْ يَجُودَ بِهِ الزَّمَانُ
حَيَاةٌ حَارَبَتْهُمْ مُنْذُ كَانَتْ * وَحَظٌّ حَارَبُوهُ مُنْذُ كَانُوا
وَآمَالٌ تَغُرُّهُمُ عِجَافٌ (٢) * وَأَحْدَاثٌ تُكَذِّبُهَا سِمَانُ
وَكَمْ مِنْ مُسْتَنِيلٍ (٣) لَيْسَ يُعْطَى * وَكَمْ مِنْ مُسْتَعِينٍ لا يُعَانُ
تَكَاثَرَتِ الْهُمُومُ فَلا يَرَاعٌ (٤) * تُوَفِّيهَا الشِّكَاةَ وَلا لِسَانُ
أَمَانًا أَيُّهَا الْخَصْمُ الْمُعَادِي * إِذَا دَانَ الْعِدَا وَجَبَ الأَمَانُ
أَإِنْ رَغِبُوا إِلَيْكَ رَغِبْتَ عَنْهُمْ * لَقَدْ هَانَتْ رَغَائِبُهُمْ وَهَانُوا
يُمَنِّي النَّاسُ بَعْضُهُمُ بِخَيْرٍ * أَلا كَذَبُوا عَلَى بَعْضٍ وَمَانُوا (٥)
وَدَاعٍ جَاءَ يَدْعُونِي لِنُصْحٍ * وَقَدْ وَهَنَ (٦) النُّهَى وَوَهَى الْبَنَانُ
تَعِبْتُ مِنَ الْكَلامِ فَلَيْسَ يُجْدِي * — كَمَا أَمَّلْتُ — نَظْمٌ أَوْ بَيَانُ
وَكَانَتْ صَبْوَةٌ (٧) وَنَزَعْتُ عَنْهَا * فَهَأَنَا لا أَدِينُ وَلا أُدَانُ

---

(١) ولىّ الدين بن حسن سرى بن ابراهيم باشا يكن ، ولد بالآستانة وجاء القاهرة طفلا وتعلم بها ومال الى الأدب واشتهر به ، ثم سافر الى الآستانة وعين فى مجلس معارفها ، ثم نفاه السلطان عبد الحميد إلى ولاية سيواس ، وبعد إعلان الدستور العثمانى عاد إلى مصر وأخذ ينشر كتبه ومقالاته . وله شعر رقيق وكتابة جيدة . مات سنة ١٣٣٩ هـ . (٢) عجاف : جمع عجفاء أى هزيلة ضامرة . وسمان : جمع سمينة . (٣) مستنيل : طالب نوالا أى عطاء . مستعين : طالب عونا . (٤) اليراع : الأقلام ، المفرد يراعة . (٥) مانوا : من المين بسكون الياء وهو الكذب . (٦) وهن : ضعف . النهى : العقول جمع نهية بضم النون وسكون الهاء . وهى : ضعف . البنان : أطراف الأصابع جمع بنانة . (٧) صبوة : من صبا بمعنى مال وأحب .

وَمَا أَسَفِي عَلَى عَهْدٍ تَقَضَّى * وَلَكِنْ صُنْتُ عَهْدًا لا يُصَانُ
ظَلِلْتُ أَمِيتُهُ دَهْرًا طَوِيلًا * وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي لا أُخَانُ

****

وَدَارٍ لا يَزُولُ الْقَتْلُ عَنْهَا * كَأَنَّ الْحَرْبَ فِيهَا مِهْرَجَانُ
أَهَابَ بِهَا الْيَرَاعُ فَلَمْ تُجِبْهُ * وَنَادَاهَا فَجَاوَبَتِ السِّنَانُ (١)
تَظَلُّ بِهَا السَّوَاعِدُ عَامِلَاتٍ * يُصَرِّفُهَا ضِرَابٌ أَوْ طِعَانُ
بَكَتْ عَيْنِي الشَّبَابَ وَحِينَ جَفَّتْ * مَدَامِعُهَا غَدَا يَبْكِي الْجَنَانُ (٢)
لَعَمْرُكَ مَا لِذِي نُصْحٍ مَكَانٌ * وَلَا لِلنُّصْحِ فِي الدُّنْيَا مَكَانُ
فَدَعْنِي إِنَّ آمَالِي اسْتَكَفَّتْ * فَلِي شَانٌ وَلِلْآمَالِ شَانُ (٣)

معارضته قصيدة الحصرى

« يا لَيْلُ الصَّبُّ مَتَى غَدُهُ »

الْحُسْنُ مَكَانُكَ مَعْبَدُهُ * وَاللَّحْظُ فُؤَادِي مَغْمَدُهُ (٤)
يَا سَيِّدَتِي هَذَا حُرٌّ * لَمْ يَعْرِفْ قَبْلَكِ سَيِّدَهُ
اللَّيْلُ وَطَيْفُكِ يَعْرِفُهُ * إِنْ كَانَ فُؤَادُكِ يَجْحَدُهُ
كَمْ يُوحِي طَرْفُكِ لِي غَزَلًا * وَأَنَا فِي شِعْرِي أُنْشِدُهُ
وَتُسَاجِلُنِي الْأَطْيَارُ هَوًى * فِي الدَّوْحِ أَبِيتُ أُرَدِّدُهُ (٥)

---

(١) السنان : نصل الرمح . (٢) الجنان بفتح الجيم : القلب . (٣) استكفت : انقطعت وانتهت . (٤) مغمده : مكان غمده شبه اللحظ بالسيف ، والفؤاد بالغمد الذى يحتويه .
(٥) تساجله : تباريه . والدوح : الشجر ، واحدته دوحة بسكون الواو .

لِلصُّبحِ سَنَاؤُكِ أَبيَضُهُ * لِلَّيلِ غَرَامِي أَسْوَدُهُ
أَحبَبتُ قِلَاكِ فَطَلَّقَهُ * عِندِي عَذْبٌ وَمُقَيَّدُهُ (١)
إِنْ ضَلَّ حَنَانُكِ عَنْ قَلْبِي * فَأَنَا بِوُلُوعِي أُرْشِدُهُ
قَدْ بَاتَ دَلَالُكِ يَخْذُلُهُ * وَجَمَالُكِ كَانَ يُؤَيِّدُهُ
زِيدِي تِيهًا أَزْدَدْ كَلَفًا * كَلَفِي إِنْ رَثَّ أُجَدِّدُهُ (٢)
(شَوْقِي) إِنْ بِنْتُ يُضَاعِفُهُ * (صَبْرِي) إِنْ جُرْتُ يُؤَكِّدُهُ (٣)
خِلَّانِ هُمَا شَمْسَا فَلَكٍ * طَرْفِي مَعَ طَرْفِكِ يَرْصُدُهُ (٤)
فَصِلِي بِاللهِ وَلَوْ حُلُمًا * (مُضْنَاكِ جَفَاهُ مَرْقَدُهُ)
وَعِدِيهِ اليَوْمَ وَلَوْ كَذِبًا * الصَّبُّ يُمَاطِلُهُ غَدُهُ (٥)

١٧ – إسماعيل صبري باشا (٦)

قال :

إِنْ سَئِمْتَ الحَيَاةَ فَارْجِعْ إِلَى الأَرْ * ضِ تَنَمْ آمِنًا مِنَ الأَوْصَابِ (٧)

---

(١) قلاك : هجرك . (٢) كلفا : ولوعا وشوقا . يقول : كلما زدت تيها ودلالا ازداد بك هياما وحبا . رث : تقادم وبلى . (٣) شوقى : من الشوق ، وهو المعنى الظاهر من السياق ، والمراد الحقيق بلفظه المرحوم (شوقى بك) أمير الشعراء فى العصر الحديث . بنت : بعدت . صبرى : من الصبر ، وهو المعنى الظاهر ، والمراد بلفظه المرحوم (إسماعيل باشا صبرى) الشاعر المعروف . جرت : ظلمت ، والجور هنا يراد به الهجر وادعاء النسيان . (٤) يقول إن (شوقى) و(صبرى) الشاعرين صديقان هما كشمسى فلك يرصدهما طرفى وطرفك . إيماء إلى سطوع شهرتهما فى الشعر وتعلقه بهما . (٥) يماطله : يسوّفه و يباعده . (٦) ولد إسماعيل باشا صبرى سنة ١٨٥٤ م . وتعلم بالمبتديان والتجهيزية والادارة ، ثم أرسل إلى فرنسا ، فدرس الحقوق هناك وشغل فى مصر مناصب القضاء ، وجعل يترقى فيها إلى أن صار وكيلا للحقانية . وقد شغف بالأدب لذاته ، وكان لرقة طبعه وظهوره على الأدب الفرنسى أثر فى رقة شعره وحسن ابتكاره وجمال نقده . له أسلوب عذب وحسن بصيرة وجمال فنى . مات سنة ١٩٢٣ م .

(٧) الأوصاب : جمع وصب بفتحتين ، المرض والوجع الدائم . ورجوعه إلى الأرض . لأنه خلق من ترابها .

تِلْكَ أُمٌّ أَحْنَى عَلَيْـكَ مِنَ الْأُمِّ * الَّـتِي خَلَّفَتْـكَ لِلْأَتْعَابِ (١)

لَا تَخَفْ ، فَالْمَمَاتُ لَيْسَ بِمَاحٍ * مِنْـكَ إِلَّا مَا تَشْـتَكِي مِنْ عَذَابِ

كُلُّ مَيْتٍ بَاقٍ ، وَإِنْ خَالَفَ الْعُنْـ * ـوَانُ مَا نُصَّ فِي غُضُـونِ الْكِتَابِ (٢)

وَحَيَاةُ الْمَـرْءِ اغْـتِرَابٌ فَإِنْ مَا * تَ فَقَـدْ عَادَ سَالِمًا لِلـتُّرَابِ (٣)

وقال يناجى الدَّواة :

يا دَوَاةُ اجْعَـلِي مِدَادَكِ وِرْدًا * لِوُفُـودِ الأَقْـلَامِ حِيناً فَحِينَـا (٤)

وَلْيَكُنْ كَالزَّمَانِ حَالاً وَحَالاً * تَارَةً آسِـناً وَأُخْرَى مَعِينَـا (٥)

أَكْرِمِي الْعِلْمَ وَامْنَحِي خَادِمِيهِ * مَاءَكِ الغَـالِي النَّفِيسَ الثَّمِينَا

وَابْذُلِي الصَّافِيَ الْمُطَهَّـرَ مِنْـهُ * لِهُـدَاةِ السَّرَائِرِ الْمُرْشِـدِينَا

وَإِذَا الظُّـلْمُ وَالظَّلَامُ اسْـتَعَانَا * يَوْمَ نَحْسٍ بِأَجْهَلِ الْجَـاهِلِينَا

وَاسْـتَمَدَّا مِنَ الشُّرُورِ مِدَادًا * فَاجْعَلِيـهِ مِنْ قِسْـمَةِ الظَّالِمِينَا

---

(١) أحنى : أعطف وأرفق ، والأم الأولى : الأرض . والثانية : الأم الحقيقية ذات الولد . والأتعاب : جمع تعب .

(٢) فى غضون الكتاب : فى أثنائه . هـذا البيت بمثابة التدليل على البيت الذى قبـله ؛ فانه قرر فى ذلك البيت أن الموت لا يمحو من الانسان شيئا ، اللهـم إلا آلامه وأوجاعه . وفى هذا البيت يقول : إن كل ميت هو فى الواقع حى ، وإن كان الموت معـروفا بأنه عدم الحيـاة ، وذلك كشأن العنوان إذا خالف فى الواقع ما نص عليه فى صلب الكتاب .

(٣) هذا البيت جار مجرى البيت الذى قبله ، وهو من أنخر الشعر وأروعه .

(٤) الورد بكسر الواو : المـاء الذى يورد .

(٥) الآسن : الراكد المتغـير . والمعين بفتح الميم : المـاء الجارى . يطلب إلى المداد أن تكون حاله كحال الزمان فى سعده ونحسه ، وفى صفوه وكدره .

*
* *

وَإذَا مُهْجَةُ الْحَمَائِمِ أَسْدَتْ * نُقْطَةً سِرَّهَا الزَّكِىَّ المَصُونَا (١)

فَاجْعَلِيهَا عَلَى الْمَوَدَّاتِ وَقْفًا * وَهَبِيهَا رَسَائِلَ الشَّيِّقِينَا (٢)

فَإذَا لَمْ يَكُنْ بِقَلْبِكِ إلَّا * مَا أَعَدَّ الإخْلَاصُ لِلمُخْلِصِينَا

فَاجْعَلِيهِ حَظِّى لِأَكْتُبَ مِنْهُ * شَرْحَ حَالِى لِسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَا (٣)

وقال رحمه الله :

يَا مَوْتُ خُذْ مَا أَبْقَتِ الْـ * أَيَّامُ وَالسَّاعَاتُ مِنِّى

بَيْنِى وَبَيْنَكَ خَطْوَةٌ * إنْ تَخْطُهَا فَرَّجْتَ عَنِّى

وقال :

وَلَمَّا الْتَقَيْنَا قَرَّبَ الشَّوْقُ جُهْدَهُ * شَجِيَّيْنِ فَاضَا لَوْعَةً وَعِتَابَا (٤)

كَأَنَّ صَدِيقًا فِى خِلَالِ صَدِيقِهِ * تَسَرَّبَ أَثْنَاءَ الْعِنَاقِ وَغَابَا

وقال فى ساعة التوديع :

أَتُرَى أَنْتَ خَاذِلِى سَاعَةَ التَّوْ * دِيعِ يَا قَلْبُ فِى غَدٍ أَمْ نَصِيرِى؟

وَيْكَ! قُلْ لِى ، مَتَى أَرَاكَ بِجَنْبِى * رَاضِيًا عَنْ مَكَانِكَ الْمَهْجُورِ ؟

لَسْتَ بَعْضَ الْحُدَاةِ بَلْ أَنْتَ بَعْضِى * قِفْ قَلِيلًا ؛ فَلَسْتَ بِالْمَأْجُورِ (١)

---

(١) المهجة : دم القلب . والحمائم : جمع حمامة . وأسدت هنا بمعنى استودعت . وذلك لأن الحمام معروف بالوداعة واللطف وطهر القلب . (٢) المودات بفتح الميم والواو وتشديد الدال : جمع مودة . الشيقين : المشتاقين . (٣) حظى : نصيبى . (٤) شجيين : حزينين من شدة الشوق ، مثنى شجى (بتشديد الياء) . اللوعة : حرقة الوجد . (٥) الحداة بضم الحاء ، جمع حاد : الذى يسوق الإبل و يغنى لها . يريد من قلبه أن يثبت فى مكانه الذى هجره ليسير فى ركاب الأحبة و يغنيهم ، وذلك كناية عن دوام خفقانه . وهو من المبالغات البديعة .

سَاعَةَ الْبَـيْنِ قِطْعَـةٌ أَنْتِ قُدَّتْ * لِلْمُحِبِّـينَ مِنْ عَذَابِ السَّـعِيرِ؟ (١)
لَا تَحِينِي ! رُوحِي الفِدَاءُ لِمَـا حِيـ * ـكِ غَـدًا مِن صَحِيفَـةِ المَقْـدُورِ (٢)

وقال يتغـــزّل :

أَبُثُّـكِ مَا بِي فَإِنْ تَرْحَمِي * رَحِمْتِ أَخَا لَوْعَـةٍ مَاتَ حُبَّـا (٣)
وَأَشْـكُو النَّـوَى مَا أَمَرَّ النَّـوَى * عَلَى هَـائِمٍ إِنْ دَعَا الشَّـوْقُ لَبَّـا (٤)
وَأَخْشَى عَلَيْـكِ هُبُـوبَ النَّسِـ * ـيمِ وَإِنْ هُوَ مِنْ جَانِبِ الرَّوْضِ هَبَّا
وَأَسْـتَغْفِرُ اللهَ مِنْ بُرْهَـةٍ * مِنَ الْعُمْرِ لَمْ تَلْقَنِي فِيـكِ صَبَّا (٥)
تَعَـالَيْ نُجَـدِّدْ زَمَانَ الْهَنَـاءِ * وَنَنْهَبْ لَيَـالِيَـهُ الْغُـرَّ نَهْبَـا (٦)
تَعَـالَيْ أَذُقْ بِكِ طَعْـمَ السَّـلَامِ * وَحَسْبِي وَحَسْـبُكِ مَا كَانَ حَرْبَا (٧)

وقال يتغـــزّل :

يَارَاحَةَ الْقَلْبِ يَاشُغْلَ الْفُؤَادِ صِلِي * مُتَيَّمًا أَنْتِ فِي الْحَالَيْنِ دُنْيَـاهُ (٨)
زِينِي النَّدِيَّ وَسِـيلِي فِي جَوَانِبِـهِ * لُطْفًا يَعُـمُّ رَعَايَا اللُّطْفِ رَيَّاهُ (٩)

(١) البين : البعد والفراق . وقدت : قطعت . (٢) حان الشيء يحين : قرب وقتـه . يقول : لا تقربي يا ساعة الفراق ، روحي فداء لمن يحوك غدا من الزمن . (٣) اللوعة : حرقة الحزن والهوى . وأخوها : صاحبها . (٤) النوى : البعد والفرقة . والهائم : العاشق . ولبى : أجاب . ودعا : دعاه . (٥) البرهة : بضم الباء وفتحها القطعة من الزمن . وهو يريد بها هنا القطعة القصيرة . والصب : العاشق الشديد العشق . (٦) الغر : جمع غراء بتشديد الراء : يريد الحسان . (٧) السلام : ضد الحرب . ويريد بالسلام القرب والتواصل ، وبالحرب البعد والتنافر . وهذا شبيه بقول العباس بن الأحنف :

تعـالى نجدّد دارس العهد بيننا * كلانا على طول الجفاء ملوم

(٨) المتيم : الذى استذله الحب . وفى الحالين : أى فى حالى الوصل والهجر .

(٩) الندى : بتشديد الياء ، النادى . والريا بفتح الراء وتشديد الياء : الريح الطيبة الزكية .

رَيْحَانَةٌ أنتِ في صَحْرَاءَ مُجْدِبَةٍ * مِنَ الرَّيَاحِينِ حَيَّانَا بِهَا اللهُ
إنْ غَابَ سَاقِي الطِّلَا أَوْ صَدَّ، لا حَرَجٌ * هَـذَا جَمَالُكِ يُغْنِينَا مُحَيَّاهُ (١)

وقال متغزلا :

أَقْصِرْ فُؤَادِي فَمَا الذِّكْرَى بِنَافِعَةٍ * وَلَا بِشَافِعَةٍ فِي رَدِّ مَا كَانَا (٢)
سَلَا الفُؤَادُ الَّذِي شَاطَرْتَهُ زَمَنًا * حَمْلَ الصَّبَابَةِ فَاخْفِقْ وَحْدَكَ الآنَا (٣)
هَلَّا أَخَذْتَ لِهَذَا اليَوْمِ أُهْبَتَهُ * مِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْبِحَ الأَشْوَاقُ أَشْجَانَا؟ (٤)
لَهْفِي عَلَيْكَ قَضَيْتَ العُمْرَ مُقْتَحِمًا * فِي الوَصْلِ نَارًا وَفِي الهِجْرَانِ نِيرَانَا (٥)

ومن قوله فى التصوف :

يَا رَبِّ : أَيْنَ تُرَى تُقَامُ جَهَنَّمٌ * لِلظَّالِمِينَ غَدًا وَلِلْفُجَّارِ؟
لَمْ يُبْقِ عَفْوُكَ فِي السَّمٰوَاتِ الْعُلَى * وَالأَرْضِ شِبْرًا خَالِيًا لِلنَّارِ
يَا رَبِّ : أَهِّلْنِي لِفَضْلِكَ وَاكْفِنِي * شَطَطَ العُقُولِ وَفِتْنَةَ الأَفْكَارِ
وَمُرِ الوُجُودَ يَشِفُّ عَنْكَ لِكَيْ أَرَى * غَضَبَ اللَّطِيفِ وَرَحْمَةَ الجَبَّارِ (٦)

---

(١) الطلا بكسر الطاء : الخمر . والمحيا بضم الميم وتشديد الياء المفتوحة : الوجه .

(٢) أقصر : كف وأقلع .

(٣) سلا : هجر ونسى . يريد بالفؤاد فؤاد التى كانت تبادله الحب . والصبابة بفتح الصاد : العشق .

(٤) الأهبة بضم الهمزة وسكون الهاء : العدة . تقول : اتخذت للأمر أهبته أى هيأت له أسبابه . والأشجان : الهموم والأحزان ، واحدها شجن . يقول : هلا حسبت حساب هذا اليوم يوم القطيعة والهجران ، فأعددت له عدته قبل أن تندفع فى تيار العشق ، فلا ينقلب ما كنت تجده من الشوق هموما وأحزانا بما تعانى من القطيعة .

(٥) اقتحم النار : أى رمى بنفسه فيها ، وهجم عليها .

(٦) شف الشيء يشف من باب ضرب : رق فظهر ما وراءه . اللطيف : المراد به هنا الذات الإلهية وكذلك الجبار .

يَا عَالِمَ الأَسْرَارِ حَسْــبِي مِحْنَــةً * عِلْمِي بِأَنَّــكَ عَالِمُ الأَسْــرَارِ (١)
أَخْلِقْ بِرَحْمَتِــكَ الَّتِي تَسَــعُ الوَرَى * أَلَّا تَضِيــقَ بِأَعْظَــمِ الأَوْزَارِ (٢)

وقال يرثى (عمر) ابن المرحوم الشيخ على يوسف . وقد مات صغيرا :

يَا مَا لِيَ الْعَيْنِ نُورًا وَالْفُؤَادِ هَوًى * وَالْبَيْتِ أُنْسًا ، تَمَهَّلْ أَيُّهَا الْقَمَرُ! (٣)
لَا تُخْلِ أُفْقَكَ ، يَخْلُفْكَ الظَّلَامُ بِهِ * وَالْزَمْ مَكَانَكَ ، لَا يَحْلُلْ بِهِ الْكَدَرُ (٤)
فِي الْحَيِّ قَلْبَانِ بَاتَا ، يَا نَعِيمَهُمَا ، * وَفِيهِمَا ، إِذْ قَضَيْتَ ، النَّارُ تَسْتَعِرُ (٥)
وَأَعْيُنٌ أَرْبَعٌ تَبْكِي عَلَيْــكَ أَسًى * وَمِنْ بُكَاءِ الثَّكَالَى : السَّيْلُ وَالْمَطَرُ (٦)
قَدْ كُنْتَ رَيْحَانَةً فِي الْبَيْتِ وَاحِدَةً * يَرُوحُ فِيــهِ وَيَغْدُو نَفْحُهَا الْعَطِرُ (٧)
مَا كَانَ عَيْشُكَ فِي الْأَحْيَاءِ مُخْتَصَرًا * إِلَّا كَمَا عَاشَ فِي أَكْمَامِهِ الزَّهَرُ (٨)
فَارْحَلْ تُشَيِّعْكَ الْأَرْوَاحُ جَازِعَةً * فِي ذِمَّةِ اللهِ بَعْــدَ الْقَــبْرِ يَا عُمَــرُ (٩)

---

(١) المحنة : البليــة والمصيبة . يقول : يكفيني مصيبة علمى بأنك تعلم السر وما يخفى ، لأنك إذا مطلع على آثامى وأوزارى . (٢) أخلق به أن يفعل كذا : أى ما أحقه بفعله . الأوزار : جمع وزر بكسر الواو وهو الإثم . (٣) الهوى : الحب . (٤) يخلفك : يحل محلك . ولا يحلل : لا يحل ، وقد فك الادغام لضرورة الشعر . (٥) الحى : منازل القوم ، ويريد به بيت أبيه . والقلبان : قلب والده وقلب والدته . ويانعيمهما : أى فى حال حياة ولدهما . وقضيت : مت . وتستعر : تلتهب . (٦) الأعين الأربع : عينا أبيه ، وعينا أمه . والأسى : الحزن . والثكالى : جمع ثاكل وهو الذى يفقد ولده . والمعنى أن أعين والديك تبكى من الحزن لفقدك ، ودموع الفاقدين أولادهم تشبه السيل والمطر فى تدفقه وانهماره . (٧) كان ريحانة واحدة ، لأنه لم يكن لوالديه غيره . النفح : الرائحــة . والعطر بفتح العين وكسر الطاء : الطيب الرائحة .

(٨) مختصرا : أى قصيرا . والأكمام : جمع كم بكسر الكاف . وهو الغلاف الذى يحيط بالزهرة . وهو لا يلبث أن ينشق ، فتخرج الزهرة . ويضرب بالزهر المثل فى قصر العمر .

(٩) تشيعك : تودعك . وجازعة : شديدة الحزن .

وله يحمّس المصريين على لسان فرعون :

لَا الْقَوْمُ قَوْمِى، وَلَا الْأَعْوَانُ أَعْوَانِى * إِذَا وَنَى يَوْمَ تَحْصِيلِ الْعُلَا وَانِى (١)

وَلَسْتُ إِنْ لَمْ تُؤَيِّدْنِى فَرَاعِنَةٌ * مِنكُمْ، بِفِرْعَوْنَ عَالِى الْعَرْشِ وَالشَّانِ (٢)

***

لَا تَقْرَبُوا النِّيلَ إِنْ لَمْ تَعْمَلُوا عَمَلًا * فَمَاؤُهُ الْعَذْبُ لَمْ يُخْلَقْ لِكَسْلَانِ

وقال فى مسامحة الصديق :

إذا خَانَنِى خِلٌّ قَدِيمٌ وَعَقَّنِى * وَفَوَّقْتُ يَوْماً فِى مَقَاتِلِه سَهْمِى (٣)

تَعَرَّضَ طَيْفُ الْوُدِّ بَيْنِى وَبَيْنَهُ * فَكَسَّرَ سَهْمِى فَانْثَنَيْتُ وَلَمْ أَرْمِ

١٨ — الشيخ محمد عبد المطلب (٤)

قال فى احتفال الأمة المصرية بعيد النَّيروز سنة ١٩١٩ م، يفخر بمصر ويعدِّد مآثرها من قصيدة طويلة :

لَنَا ذِرْوَةُ الْمَجْدِ الَّذِى تَحْتَ ظِلِّهِ * تَنَاسَلَتِ الْأَحْقَابُ وَاعْتَمَلَ الدَّهْرُ (٥)

(١) الأعوان : جمع عون وهو النصير. وونى : فتر وضعف. وتحصيل العلا : نيل محامد الأمور.

(٢) الشأن : الأمر، والمراد الذى عظم أمره، وسمت منزلته.

(٣) عقه : عصاه ولم يبر به، وفوق السهم بتشديد الواو المفتوحة : جعل الوتر فى فوقه عند الرمى. والفوق بضم الفاء : هو رأس السهم، يريد أنه إذا عصاه ولم يبر به سدد إلى مقاتله السهم، كناية عن إيذائه والكيد له.

(٤) هو محمد بن عبد المطلب بن واصل، ولد ببلدة (باصونة) إحدى قرى مديرية جرجا، وأبواه عربيان ينتميان إلى أسرة تتصل بعشيرة من عشائر جهينة التى هى إحدى بطون قضاعة. تعلم فى الأزهر، وتخرج فى دار العلوم، وقد كان مدرّسا للعلوم العربية بها. وكان واسع الاطلاع والمحفوظ من قصائد العرب المطوّلة، شديد العصبية لسلف هذه الأمة وقوادها وعلمائها وشعرائها، شديد الغيرة على العربية والاسلام، وتميز شعره بجزالة الألفاظ، ومتانة التراكيب، وقوة القافية. وقد تغنى فى شعره بأعلام البادية ومعالمها حتى لقب بالشاعر البدوى. على أن شعره قد حوى موضوعات عصرية شتى كوصف الحرب الكبرى وحديث السياسة المصرية وغيرها. ومات سنة ١٩٣١ م. عن ستين عاما. وله ديوان مطبوع.

(٥) اعتمل الدهر : اضطرب.

لَنَا آيَةُ الأَهْرَامِ يَتْلُو قَدِيمَهَا * حَدِيثُ اللَّيَالِي فَهْيَ فِي فَمِهَا ذِكْرُ
مَلأْنَا بِهَا لَوْحَ الْوُجُودِ مَنَاقِبًا (١) * إِذَا مَا خَلَا عَصْرٌ تَلَاهُ بِهَا عَصْرُ
وَلِلْعِلْمِ مِنْ آثَارِنَا فِي جِبَالِنَا * عَلَى الدَّهْرِ آيَاتٌ بِهَا يَنْطِقُ الصَّخْرُ
وَلِلْمُلْكِ مِنَّا كُلُّ أَرْوَعَ (٢) نُظِّمَتْ * عَلَى تَاجِهِ الأَفْلَاكُ وَالأَنْجُمُ الزُّهْرُ
وَمِنَّا الَّذِي سَاقَ الأَسَاطِيلَ شُرَّعًا (٣) * عَلَى الْبَحْرِ يَسْتَحْيِي لِصَوْلَتِهَا الْبَحْرُ
لَنَا كُلُّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ مَدَنِيَّةٍ * بِهَا تَعْمُرُ الأَمْصَارُ وَالْبَلَدُ الْقَفْرُ (٤)
لَنَا فِي الْوَرَى حَقُّ الْمُعَلِّمِ لَوْ رَعَوْا * لَنَا ذِمَّةً وَالدَّهْرُ شِيمَتُهُ الْغَدْرُ
إِذَا اعْتَزَّ قَوْمٌ بِالْحَدِيدِ سَمَتْ بِنَا (٥) * مَكَارِمُ فِي طَيِّ الزَّمَانِ لَهَا نَشْرُ
بَنَيْنَا عَلَى آدَابِ عِيسَى وَأَحْمَدِ * مَنَازِلَ عِزٍّ دُونَهَا يَقَعُ النَّسْرُ (٦)
كِلَانَا عَلَى دِينٍ بِهِ هُوَ مُؤْمِنٌ * وَلَكِنَّ خِذْلَانَ الْبِلَادِ هُوَ الْكُفْرُ
فَلَا يَحْسَبَنَّ النَّاسُ أَنَّا تَزَلْزَلَتْ * بِنَا قَدَمٌ أَوْ مَسَّ وَحْدَتَنَا الضُّرُّ

وقال من قصيدة له فى المعلم :

بَنِي مِصْرَ مَا بَالُ الْمُعَلِّمِ كَاسِفًا (٧) * يَرَى النَّاسَ فِيهَا يَكْبُرُونَ وَيَصْغُرُ
سَبِيلُ النَّبِيئِينَ (٨) الْكِرَامِ سَبِيلُهُ * يَعُمُّ بِهِ الدُّنْيَا صَبَاحًا فَتَقْمُرُ

(١) مناقب : جمع منقبة أى مفخرة . (٢) الأروع : السيد الشهم . (٣) شرعا : ضاربات بأشرعتها فى الجو . الصولة : البطش . (٤) البلد القفر : الخالى من النبات . (٥) يريد أن لنا تاريخا مجيدا مطويا فى السنين الخالية تنتشر أخباره على الأيام . وهو مبعث العزة فينا كما يعتز غيرنا بالمخترعات الحديثة . (٦) النسر : طائر جارح لا يقع إلا على القمم العالية . (٧) كاسفا : حزينا . (٨) النبيئين : جمع نبىء مهموز نبى . فتقمر : يريد فتضىء .

سَلُوا عَنْهُ جُنْحَ اللَّيْلِ كَمْ باتَ مُتْعَباً * تَنامُ حَوالَيْهِ النُّجُومُ وَيَسْهَرُ (١)
سَلُوا عَنْهُ عَيْناً قَرَّحَ السُّهْدُ جَفْنَها * يَخُطُّ عَلَيْها فِي الظَّلامِ وَيَسْطُرُ
سَلُوا عَنْهُ جِسْماً باتَ بِالسُّقْمِ ناحِلاً * فَلا البُرْءُ مَأْمُولٌ وَلا هُوَ يُعْذَرُ
سَلُوا عَنْهُ أَسْفاراً قَضَى اللَّيْلَ بَيْنَها * غَرِيباً عَنِ الدُّنْيا وَأَهْلُوهُ حُضَّرُ (٢)
سَلُوا عَنْهُ قَلْباً باتَ يَخْفِقُ رَحْمَةً * عَلَى فِتْيَةٍ مِنْ حَوْلِهِ تَتَضَوَّرُ (٣)
فَإِنْ مَدَّ لِلدُّنْيا يَداً يَسْتَمِدُّها * لَهُمْ، عَنْهُ وَلَّتْ وَهْيَ غَضْبَى تَشَزَّرُ (٤)
فَيا وَيْحَهُ كَمْ يَشْتَكِي فِي حَياتِهِ * وَكَمْ يَتَلَقَّى مِنْ بَلاءٍ فَيَصْبِرُ
وَلَمْ تَحْيَ إِلَّا بِالمُعَلِّمِ أُمَّةٌ * وَلا سادَ إِلَّا بِالمُعَلِّمِ مَعْشَرُ
فَإِنْ لَمْ يَطِبْ بِالعَيْشِ نَفْساً وَلَمْ يَكُنْ * لَهُ بَيْنَ أَهْلِيهِ المَقامُ المُوَقَّرُ
رَأَيْتَ شَباباً يُطْفِئُ الجَهْلُ نُورَهُ * وَنَشْأً إِذا هَمُّوا إِلَى المَجْدِ قَصَّرُوا (٥)

١٩ – حافظ إبراهيم (٦)

قال يصف الشمس :

لاحَ مِنْها حاجِبٌ لِلنّاظِرِينْ * فَنَسُوا بِاللَّيْلِ وَضّاحَ الجَبِينْ (٧)
وَمَحَتْ آيَتُها آيَتَهُ * وَتَبَدَّتْ فِتْنَةً لِلْعالَمِينْ . .

(١) جنح الليل : ظلامه . تنام النجوم : يريد تغيب . (٢) أسفارا : كتبا ، جمع سفر بكسر السين . حضر : جمع حاضر . (٣) تتضور : تتلوى من الجوع . (٤) يستمدها : يطلب منها المدد أى المعونة . تشزر بحذف إحدى التاءين : تنظر إليه بغضب وزراية . (٥) النشء : جمع ناشئ وهو الصغير . (٦) هو المرحوم حافظ بك إبراهيم ، ولد حوالى سنة ١٨٧٢ م . وتعلم فى المدرسة الحربية ، ثم تخرج ملازما وسافر إلى السودان ، ثم أحيل إلى المعاش ، ثم عين رئيسا للقسم الأدبى بدار الكتب . وتوفى سنة ١٩٣٢ م . وكان شاعرا جيد الأسلوب ، قوى اللفظ ، موفقا فى الاجتماعيات ، ملهبا للشعور الوطنى بما يغشى من قصائده السياسية . (٧) وضاح الجبين : القمر .

نظـــرَ آبراهَامُ فِيهَا نَظْـرَةً . * فأرَى الشَّـكَّ ومَا ضَـلَّ اليَقِين[١]

قالَ : ذَا رَبِّى ، فلمّـا أفلَتْ * (قالَ : إنِّى لَا أحِبُّ الآفِلِين[٢])

وَدَعَا القَـــوْمَ إلَى خَالِقِهـا * وَأتَى القَـــوْمَ بِسُلْطَانٍ مُبِـين[٣]

رَبِّ إنّ النـاسَ ضَـــلُّوا وَغوَوْا * وَرَأَوْا فِى الشَّمْس رَأَىَ الخْاسِرِينْ

خَشَـــعَتْ أبْصَارُهُمْ لمّـا بَدَتْ * وَإلَى الأذْقَانِ خَرُّوا سَاجِدِينْ

نَظَـرُوا آيَاتِهـا مُبْصِـــرَةً . . * فعَصَوْا فِيهَا كَلَامَ المُرْسَلِينْ .

نَظـــرُوا بَدْرَ الدَّجَى مِرْآتَهَـا * تَتَجَـــلَّى فِيـهِ حِينًا بَعْـدَ حِينْ . .

ثمَّ قالُوا : كَيْفَ لا نَعبُـدُها * هَلْ لهـا فِيما تَرَى العَـيْنُ قَرِينْ؟

هِيَ أُمُّ الأرْضِ فِي نِسْـبَتِها * هِيَ أمُّ الكَوْنِ وَالكَوْنُ جَنِين[٤]

هِيَ أمُّ النَّـار والنُّـــورِ معًـا * هى أمُّ الرِيح والمـاءِ المَعِـين[٥] .

هِيَ طَلْـعُ الرَّوْضِ نَـوْرًا وَجَـنًى * هِيَ نَشْرُ الوَرْدِ، طِيبُ اليَـاسَمِين[٦]

هِيَ مَـوْتٌ وَحَيَـاةٌ للــوَرَى * وضَـــلالٌ وَهُـــدًى للغَـابِرِينْ

صَـدَقُوا لكِنّهـم مَا عَلِمُــوا * أَنّهَـا خَلْقٌ سَـيَبْلَى بِالسِّـنِينْ .

(١) ابراهام : لغة فى إبراهيم، وهو نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام . ويشير بذلك إلى ماقصه الله تعالى فى القرآن فى سورة الأنعام عن إبراهيم عليه السلام؛ قال تعالى : "فلما رأى الشمس بازغة" الآية . وقوله : "فارى الشك"...الخ، أى أظهر لقومه أنه شاك فى الإله لكى يهديهم اليه وهو متيقن وجوده .

(٢) أفلت : غابت . (٣) السلطان : الحجة .

(٤) يشـير بقوله : « هى أم الأرض » ، الى ما يقال من أن الأرض كانت جزءا من الشمس ثم انفصلت وبرد ظاهرها بتطاول الزمن . (٥) المعين : النابع من العيون .

(٦) يريد « بالطلع » : مايبدو من الثمرة فى أوّل ظهورها . ونور النبات بفتح النون : زهره . والجنى، ما يجنى من الشجر . ونشر الورد . رائحته المنتشرة منه .

أَإِلٰهٌ لم يُستَرْهُ ذَاتَـهُ * عن كُسُوفٍ؟ بِئْسَ زَعْمُ الجاهِلِينْ
إنّما الشمسُ وَمَا فِي آيِهَا * مِنْ مَعَانٍ لمَعَتْ للعارِفِينْ :
حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ قَدْ مَثَّلَتْ * قُدْرَةَ اللهِ لِقَوْمٍ عَاقِلِينْ

وقال على لسان اللغة العربية تنعى حظّها بين أهلها :

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَاتِي * وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَيَاتِي (١)
رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي * عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي (٢)
وَلَدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعَرَائِسِي * رِجَالًا وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَنَاتِي (٣)
وَسِعْتُ كِتَابَ اللهِ لَفْظًا وَغَايَةً * وَمَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ (٤)
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ * وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ
أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ * فَهَلْ سَاءَلُوا الْغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتِي
فَيَا وَيْحَكُمْ أَبْلَى وَتَبْلَى مَحَاسِنِي * وَمِنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أُسَاتِي (٥)
فَلَا تَكِلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنَّنِي * أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي (٦)

---

(١) رجعت لنفسي : أي تأملت . والحصاة : الرأي والعقل . واحتسبت حياتي : عددتها عند الله فيما يدخر . يقول على لسان اللغة العربية : إنني عدت إلى نفسي وفكرت فيما آل إليه أمري ، فأسأت الظن بمقدرتي ، وكدت أصدق ما رموني به من القصور ، وناديت الناطقين بي أن ينصروني فلم أجد منهم سميعا ، فادخرت حياتي عند الله . (٢) العداة : الأعداء . يقول : اتهموني بأني لا ألد على حين أني في ريعان شبابي . وليتني كنت كما قالوا فلا يحزنني قولهم . ويكني بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجمودها . (٣) يريد «بالعرائس» الألفاظ المجلوة الحسنة . ووأد البنت : دفنها حية .

(٤) الآي : جمع آية . (٥) الأساة : جمع الآسي ، وهو الطبيب .

(٦) تكلوني ، تتركوني . وتحين : تحل .

أَرَى لِرِجَالِ الْغَـرْبِ عِزًّا وَمَنْعَـةً * وَكَمْ عَزَّ أَقْـوَامٌ بِعِـزِّ لُغَـاتِ (١)

أَتَوْا أَهْلَهُـمْ بِالْمُعْجِـزَاتِ تَفَنُّنًـا * فَيَالَيْتَكُمْ تَـأْتُونَ بِالْكَلِمَـاتِ

أَيُطْرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ * يُنَـادِي بِوَأْدِي فِي رَبِيـعِ حَيَـاتِي (٢)

وَلَوْ تَزْجُرُونَ الطَّـيْرَ يَوْمًا عَلِمْـتُمُ * بِمَـا تَحْتَـهُ مِنْ عَثْرَةٍ وَشَـتَاتِ (٣)

سَـقَى اللهُ فِي بَطْنِ الْجَـزِيرَةِ أَعْظُمًا * يَعِـزُّ عَلَيْهَـا أَنْ تَلِينَ قَنَـاتِي (٤)

حَفِظْنَ وِدَادِي فِي الْبِـلَى وَحَفِظْتُهُ * لَهُنَّ بِقَلْبٍ دَائِمِ الْحَسَـرَاتِ

وَفَاخَرْتُ أَهْلَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقُ مُطْرِقٌ * حَيَاءً بِتِـلْكَ الْأَعْظُـمِ النَّخِـرَاتِ (٥)

أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجَـرَائِدِ مَزْلَقًـا * مِنَ الْقَـبْرِ يُدْنِينِي بِغَـيْرِ أَنَاةِ (٦)

وَأَسْمَـعُ لِلْكُتَّابِ فِي مِصْـرَ ضَجَّـةً * فَأَعْـلَمُ أَنَّ الصَّائِحِـينَ نُعَـاتِي (٧)

أَيَهْجُرُنِي قَوْمِي — عَفَا اللهُ عَنْهُمُ — * إِلَى لُغَـةٍ لَمْ تَتَّصِـلْ بِرُوَاةِ (٨)

---

(١) يقال : هو فى منعة ، أى فى قوم يمنعونه ويحمونه .

(٢) الناعب : الصوت بما هو مستكره . وربيع الحياة : أيام الشباب والقوة .

(٣) زجر الطير ، هو أن ترمى الطائر بحصاة أو تصيح به ، فإن ولاك فى طيرانه ميامنه تفاءلت به خيرا ، وإن ولاك مياسره تطيرت منـه . والعثرة : السقوط . والشتات : التفرق . يقول : لو استنبأتم الغيب بزجر الطير ، كما كان يفعل العرب ، لعلمتم ما يجرّ دفنى عليكم من السقوط والانحلال .

(٤) القناة الرمح . ولينها : كناية عن الضعف . ويريد «بالأعظم» من دفن فى الجزيرة من العرب الأولين . (٥) النخرات : البالية المتفتتة . (٦) المزلق : مكان الانزلاق ، أى السقوط والزلل . والأناة : التأنى والابطاء . ويريد وصف لغة الجرائد إذ ذاك بالضعف .

(٧) النعاة : جمع ناع ، وهو المخبر بالموت . (٨) لم تتصل برواة ، أى لم يأخذها الخلف عن السلف بطريق الرواية التى تحفظها من الغير كما هو الشأن فى العربيـة . ويشير إلى تلك اللغة المرقعة التى كانت مستعملة أيام نشر هذه القصيدة ، وكان ذلك فى سنة ١٩٠٣ .

سرتْ لُوثَةُ الأَفْرنج فيها كما سَرى * لُعابُ الأفاعى فى مَسيل فُراتِ (١)

فجاءت كثوبٍ ضمّ سبعين رُقعةً * مُشكَّلةَ الألوانِ مُختلفاتِ

إلى مَعشر الكُتّاب والجمعُ حافلٌ * بسطتُ رجائى بعد بسط شكاتى (٢)

فإمّا حياةٌ تبعثُ الميْتَ فى البِلَى * وتُنبِتُ فى تلك الرُّموس رُفاتى (٣)

وإمّا مماتٌ لا قيامةَ بعدَه * مماتٌ لعمرى لم يُقَسْ بمماتِ

ومن قصيدة له دعاها « غادة اليابان » ضمّنها غرامه بغادة يابانية ، وأشاد بالشجاعة التى ظهرت بها أمة اليابان فى الحرب بينها وبين روسيا :

لا تَلُمْ كفّى إذا السّيفُ نَبا * صحّ منّى العزمُ والدهرُ أبى (٤)

رُبّ ساعٍ مُبصِرٍ فى سعيه * أخطأَ التوفيقَ فيما طلبا

مرحبًا بالخطبِ يبلونى إذا * كانت العلياءُ فيه السّببا (٥)

عقّنى الدّهرُ ولولا أنّنى * أوثرُ الحُسنى عققتُ الأدبا (٦)

إيهِ يا دُنيا اعبِسى أو فابسمى * لا أرى برقَكِ إلّا خُلّبا (١)

أنا لولا أنّ لى مِن أمّتى * خاذلًا ما بتُّ أشكو النُّوَبا

أمّةٌ قد فَتّ فى ساعدها * بغضُها الأهلَ وحبُّ الغُرَبا (٢)

---

(١) اللوثة (بالضم) : عدم الإبانة . ولعاب الأفاعى : سمها . والفرات : الماء العذب .

(٢) الشكاة : الشكوى . (٣) تبعث الميت : تحييه . والرموس : القبور ، الواحد رمس . والرفات : كل ما تكسر وبلى ؛ يريد ما بقى من الجسد بعد الموت . (٤) نبا السيف : كل وارتد . (٥) يبلونى : يختبرنى . (٦) عقه : ترك الإحسان إليه ولم يبر به . يقول إن الدهر لم ينصفنى ، والجانى على هو أدبى ، ولولا أنى أوثر الإحسان لهجرت الأدب الذى كان سببا فى شقائى . (١) البرق الخلب : الذى يطمع الناس فى مطره ويخلفهم .

(٢) فت فى ساعدها . عبارة يكنى بها عن الإضعاف وإيهان القوى .

تَعْشَقُ الْأَلْقَابَ فِي غَيْرِ الْعُلَا * وَتُفَــدِّى بِالنُّفُــوسِ الرُّتَبَــا

وَهْيَ وَالأَحْــدَاثُ تَسْتَهْدِفُهَا * تَعْشَــقُ اللَّهْوَ وَتَهْوَى الطَّــرَبَا (١)

لَا تُبَــالِي لَعِبَ الْقَــوْمُ بِهَــا * أَمْ بِهَا صَرْفُ اللَّيَــالِي لَعِبَــا (٢)

لَيْتَهَــا تَسْــمَعُ مِنِّي قِصَّـــةً * ذاتَ شَجْــوٍ وَحَدِيثًــا عَجَبَــا: (٣)

كُنتُ أَهْوَى فِي زَمَانِي غَادَةً * وَهَبَ اللهُ لَهَـــا مَا وَهَبَــا (٤)

ذَاتَ وَجْــهٍ مَزَجَ الحُسْنُ بِهِ * صُــفْرَةً تُنْسِي الْيَهُودَ الذَّهَبَــا

حَمَلَتْ لِي ذَاتَ يَــوْمٍ نَبَأً * لَا رَعَاكَ اللهُ يَا ذَاكَ النَّبَــا

وَأَتَتْ تَخْطِــرُ وَاللَّيْـــلُ فَــتًى * وَهِــلَالُ الأُفْقِ فِي الأُفْقِ حَبَا (٥)

ثم قالت لِي بِثَغْــرٍ باسِــمٍ * نَظَـــمَ الدُّرَّ بِهِ وَالْحَبَبَــا: (٦)

نَبَّئُــونِي بِرَحِيلٍ عَاجِـــلٍ * لَا أَرَى لِي بَعْــدَهُ مُنْقَلَبَــا (٧)

وَدَعَانِي مَوْطِنِي أَنْ أَغْتَــدِي * عَلَّــنِي أَقْضِي لَهُ مَا وَجَبَــا (٨)

نَذْبَحُ الدُّبَّ وَنَفْــرِي جِـــلْدَهُ * أَيَظُنُّ الدُّبُّ أَلَّا يُغْلَبَــا؟ (٩)

---

(١) والأحداث تستهدفها : أي أن حوادث الدهر تجعلها هدفا لها ترميه .

(٢) يريد « بالقوم » : الإنجليز . وصروف الليالى : غيرها ونوائبها ؛ أى أنها لا تعبأ بحوادث الزمان تصيبها من المحتلين أو من الدهر .

(٣) يقال شجاه شجوا ، إذا هيج أحزانه وشوقه .

(٤) الغادة : المرأة الناعمة اللينة .

(٥) والليل فتى : أى فى أوله . وشبه الهلال فى أول طلوعه بالطفل الذى يحبو فى مهده .

(٦) الحبب : الفقاقيع التى تعلو سطح الماء؛ شبه بها الأسنان فى بياضها .

(٧) المنقلب : العودة والرجوع .

(٨) أغتدى : أى أبادر مبكرة للدفاع عنه .

(٩) الدب : رمز تعرف به روسيا ، كما تعرف انجلترا بالأسد ، واليابان بالتنين ، وألمانيا بالنسر : ونفرى : نشق . ويشير بهذا البيت الى الحروب التى نشبت بين اليابان وروسيا فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م . وانتهت بالصلح فى يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٥ م .

قُلْتُ وَالآلامُ تَفْرِى مُهْجَتِى * وَيْكِ! مَا تَصْنَعُ فى الحَرْبِ الظُّبَا؟ (١)

مَا عَهِدْنَاها لِظَبْيٍ مَسْرَحًا * يَبْتَغِى مَلْهًى بِهِ أَوْ مَلْعَبَا

لَيْسَت الحربُ نفوسًا تُشْتَرَى * بِالتَّمَنِّى أَوْ عقولًا تُسْتَبَى (٢)

أَحَسِبْتِ الْقَدَّ مِنْ عُدَّتِهَا * أَمْ ظَنَنْتِ اللَّحْظَ فِيهَا كَالشَّبَا؟ (٣)

فَسَلِينِى. إِنَّنِى مَارَسْتُهَا * وَرَكِبْتُ الْهَوْلَ فِيهَا مَرْكَبَا (٤)

وَتَقَحَّمْتُ الرَّدَى فِى غَارَةٍ * أَسْدَلَ النَّقْعُ عَلَيْهَا هَيْدَبَا (٥)

قَطَّبَتْ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا لَنَا * فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِيهَا قَطَّبَا (٦)

جَالَ عِزْرَائِيلُ فِى أَنْحَائِهَا * تَحْتَ ذَاكَ النَّقْعِ يَمْشِى الْهَيْذَبَى (٧)

فَدَعِيهَا لِلَّذِى يَعْرِفُهَا * وَالْزَمِى يَا ظَبْيَةَ الْبَانِ الْخِبَا (٨)

فَأَجَابَتْنِى بِصَوْتٍ رَاعَنِى * وَأَرَتْنِى الظَّبْىَ لَيْثًا أَغْلَبَا: (٩)

إِنَّ قَوْمِى اسْتَعْذَبُوا وِرْدَ الرَّدَى * كَيْفَ تَدْعُونِى أَلَّا أَشْرَبَا؟

(١) الظبا : الظباء ، وقصر للشعر . (٢) تستبى : تؤسر بالحب .

(٣) القد : القامة . والشبا : جمع شباة ، وهى حدّ السنان . (٤) مارستها : أى اشتركت فيها .

(٥) تقحمت الردى : رميت بنفسى فى غمرته . والنقع : الغبار . والهيدب : السحاب المتدلى من أسافله . و إثارة الغبار وكثرته وارتفاعه فى الحرب ، كناية عن شدّتها وكثرة الكر والفرّ فيها .

(٦) التقطيب : العبوس . والضمير فى (قطب) للغارة . (٧) الهيذبى (بالمعجمة والمهملة) : نوع من المشى فيه جدّ . ويشير بهذا البيت إلى كثرة ما تخطفه عزرائيل من الأرواح فى هذه الحرب .

(٨) البان : شجر سبط القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، تألفه الظباء . والخبا (بالقصر) : الخباء (بالمدّ) وقصر للشعر . وهو فى الأصل : البيت من وبر أو صوف ، ويريد به البيت عامة .

(٩) راعنى : أفزعنى . والأغلب من السباع : الغليظ الرقبة ، وهى علامة للقوّة . يقول : إنها غضبت من تنقصه لها ، وأنها لا تصلح للحرب فأجابته بصوت أفزعه لشدّته وقسوته ، واستحالت من ظبى وادع إلى أسد قوى .

أَنَا يابانِيَّـــةٌ لَا أَنْثَـــنِي * عَنْ مُرَادِي أَوْ أَذُوقَ الْعَطَبَا (١)

أَنا إِنْ لَمْ أُحْسِنِ الرَّمْيَ وَلَمْ * تَسْـتَطِعْ كَفَّايَ تَقْلِيبَ الظُّبَا (٢)

أَخْدُمُ الْجَرْحَى وَأَقْضِي حَقَّهُمْ * وَأُوَاسِي فِي الْـوَغَى مَن نُكِبَا (٣)

هَـكَذَا (الميكَادُ) قَـدْ عَلَّمَنَا * أَنْ نَرَى الأَوْطَـانَ أُمًّا وَأَبَا (٤)

مَلِكٌ يَكْفِيكَ مِنْـهُ أَنَّهُ * أَنْهَضَ الشَّرْقَ فَهَـزَّ الْمَغْـرِبَا

وَإِذَا مَارَسْـتَهُ أَلْفَيْتَـهُ * حُـوَّلًا فِي كُلِّ أَمْرٍ قُلَّبَـا (٥)

كَانَ وَالتَّـاجُ صَغِيرَيْنِ مَعًـا * وَجَلَالُ الْمُلْكِ فِي مَهْـدِ الصِّبَا

فَغَـدَا هَـذَا سَمَـاءً لِلْعُـلَا * وَغَـدَا ذَلِكَ فِيهَـا كَوكَبَا

بَعَثَ الْأُمَّةَ مِنْ مَرْقَدِهَا * وَدَعَاهَا لِلْعُـلَا أَنْ تَدْأَبَا (٦)

فَسَمَتْ لِلْمَجْـدِ تَبْـغِي شَأْوَهُ * وَقَضَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَأْرَبَا (٧)

---

(١) العطب : الهلاك .

(٢) الظبا : جمع ظبة (بضم الأوّل) وهى حدّ السيف أو السنان .

(٣) الوغى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلبة .

(٤) الميكادو : لقب لملك اليابان .

(٥) الحول : الشديد الاحتيال ، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ فى أخرى . والقلب : البصير بتقلب الأمور .

(٦) تدأب : تجد فى طلبها .

(٧) الشأو : الغاية .

٢٠ – شوقى (١)

قال من قصيدة له يصف فيها دِمَشق :

آمنتُ بالله واسْتَثْنيتُ جَنّتَهُ * دِمَشْقُ رَوْحٌ وَجَنّاتٌ وَرَيْحَانُ
قَالَ الرِّفاقُ وقد هَبَّتْ خَمائِلُهَا * الأَرْضُ دارٌ، لها (الفَيحاءُ) بُسْتَانُ (٢)
جَرَى وَصَفَّقَ يَلْقانا بِهَا (بَرَدَى) * كما تَلَقَّاكَ دُونَ الخُلْدِ رِضْوانُ (٣)
دَخَلْتَهَا وحَواشِيها زُمُرُّدَةٌ * والشمسُ فوقَ لُجَيْنِ الماءِ عِقْيانُ (٤)
والحُورُ فى (دُمَّرٍ) أو حول (هامَتِهَا) * حُورٌ كَواشِفُ عَنْ سَاقٍ ووِلْدَانُ (٥)
و (رَبْوَةُ) الوادِ فى جِلْبَابِ رَاقِصَةٍ * السَّاقُ كاسِيَةٌ والنَّحْرُ عُرْيانُ
والطَّيرُ تَصْدَحُ مِنْ خَلْفِ العُيونِ بها * وَللعُيُونِ كما لِلطَّيرِ الحانُ
وَأَقْبَلَتْ بالنباتِ الأَرْضُ مُخْتَلِفًا * أَفْوَافُه فَهْو أَصْباغٌ وَأَلْوَانُ (٦)

---

(١) هو أحمد شوقى بك ابن أحمد شوقى بك ولد بالقاهرة ونشأ فيها . على أن أصله ، كما يحدث هو عن نفسه ، عربى ، تركى ، يونانى ، جركسى . وكانت نشأته فى كنف بيت الملك . وقد تقدّم فى التعلم حتى دخل مدرسة الحقوق صغير السن . فلبث فيها سنتين ، ثم أنشئ بها قسم للترجمة فلبث فيه سنتين أخريين . وحصل على الاجازة النهائية . ثم أوفده المرحوم الخديو توفيق على نفقته إلى فرنسا ليدرس الحقوق والآداب . فلما عاد ألحقه بمعيته ، فلبث فى المعية الخديوية حتى نشبت الحرب العظمى فى سنة ١٩١٤ فترك مصر وعاش فى أسبانيا . ثم عاد إلى مصر .

وهو أشهر شعراء هذا العصر . ومن أطولهم نفسا ، وأكثرهم تصرفا فى فنون الشعر حتى لقد اصطلح جمهور الأدباء فى العالم العربى على تلقيبه (بأمير الشعراء) . توفى إلى رحمة الله فى سنة ١٩٣٢ م .

(٢) الفيحاء : دمشق . (٣) بردى : نهر دمشق . (٤) اللجين بضم اللام وفتح الجيم : الفضة . والعقيان : الذهب الخالص . (٥) دمر : ضاحية دمشق . الحور (الأولى) : شجر عظيم يشبه السرو . والحور (الثانية) : جمع حوراء . وهى المرأة فى عينها حور ، أى شدة بياضها مع شدة سوادها ، والمراد بالحور : الحسان . (٦) أفوافه : جمع فوف بالضم ، نوع من الثياب . والمراد هنا الزهر .

وَقد صَفَى (بَرَدَى) للرِّيح فابتَرَدَت * لَدَى سُتورٍ حَوَاشِيهنَّ أَفنـانُ (١)
ثم انثَنَت لم يَزُلْ عنها البِـلالُ ولا * جَفَّتْ مِنَ المـاءِ أَذْيالٌ وأَرْدَانُ (٢)

وقال يتغـــزل :

تأبَى الدَّلالَ سَجيّــةً وتَصَـنُّعا * وأراكَ فى حالَىْ دَلالك مُبْـدِعا
تِهْ كَيْفَ شِئْتَ فمـا الجَمَالُ بحاكمٍ * حتى يُطَاعَ على الدَّلال ويُسمَعا
لكَ أن يُرَوِّعَك الوُشاةُ من الهوَى * وعلىَّ أن أهْـوَى الغـزالَ مُروَّعا
قالوا : لقد سَمِـع الغزالُ لمن وَشَى * واقول : ما سَمِـعَ الغزَالُ ولا وَعَى
أنا مَن يُحِبّــكَ فى نِفارِكَ مُؤنسًا * ويُحب تِيهَك فى نِفـارِك مُطمِعَا
قدّمتُ بين يَدَىَّ أيامَ الهوَى * وجعلتُها أَمَلًا عليــكَ مُضَـيَّعَا
وصَدَقتُ فى حبّى فلستُ مُباليًـا * ان أُمنَحَ الدنيـا به او أمْنَعَا

وقال يتغزل أيضا :

رُدَّتِ الرُّوحُ على المُضْنَى معَكْ * أحسنُ الأَيامِ يومٌ أرْجَعَـكْ (٣)
مَرّ من بُعْـدِك ما رَوّعَنى * أتُرَى يا حُـلْوُ بعْـدِى رَوَّعك؟
كم شَكَوْتُ البيْنَ بالليل إلى * مَطْلَعِ الفَجْرِ عسَى أن يُطْلِعَك
وبَعثتُ الشوقَ فى ريح الصَّبا * فشكا الحُـرْقةَ مِمَّـا استودَعَك
يا نَعيمى وعَـذَابى فى الهَـوَى * بعَـذُولى فى الهوَى ما جَمَعَـك؟
أنتَ رُوحِى، ظَلَمَ الواشى الذى * زَعَمَ القلبَ سَـلَا أو ضَـيَّعَك (٤)

(١) ابتردت : اغتسلت . (٢) البلال : أى البلل . أردان : جمع ردن (بضم الراء وسكون الدال) وهو الكم . (٣) ضنى الرجل على وزن علم : مرض فتمكن منه الضعف والهزال .
(٤) سلا : سلاك أى نسيك .

مَوقِعى عندك لا أعلمُه * آهِ لو تعلم عندى موقعَك
أرجفُوا أنَّك شاكٍ مُوجَعٌ * لَيتَ لى فوقَ الضَّنا ما أوجعَك
نامتِ الأعينُ إلّا مُقلةً * تَسكُب الدمعَ وترْعَى مَضْجَعَك

وقال يصف الطبيعة فى طريقه إلى الآستانة قادما من أوربا :

تلك الطَّبيعةُ قِف بنا يا سارِى * حتى أُريكَ بَديعَ صُنْع البارِى
الأرضُ حَولَك والسماء اهتزَّتا * لروائعِ الآياتِ والآثارِ
من كلِّ ناطقةِ الجَلالِ كأنَّها * أُمُّ الكتابِ على لسانِ القارِى (١)
دَلَّت على مَلِكِ الملوك فلم تَدَعْ * لأَدلَّةِ الفُقهاءِ والأَحْبارِ (٢)
منْ شَكَّ فيه فنظرةٌ فى صُنْعِه * تَمحو أثيمَ الشكِّ والإنكارِ

* * *

كُشِفَ الغِطاءُ على (الطرول) وأشرقَتْ * منه الطبيعةُ غيرَ ذاتِ سِتارِ
شبهتُها (بِلْقيسَ) فوق سَريرِها * فى نَضرةٍ ومواكِبٍ وجَوارِى
أو (بابن داودٍ) وواسعِ مُلكِهِ * ومَعالِمٍ للعزِّ فيه كِبارِ (٣)
هُوجُ الرياحِ خَواشِعٌ فى بابه * والطيرُ فيه نَواكِسُ المِنْقارِ (٤)

* * *

قامتْ على ضاحِى الجِنانِ كأنَّها * رِضْوانُ يُزجِى الخُلدَ للأَبْرارِ (٥)
كم فى الخمائلِ، وهْى بعضُ إمائِها، * من ذاتِ خَلْخالٍ وذاتِ سِوارِ (٦)

(١) أم الكتاب : فاتحته . (٢) الأحبار : جمع حبر وهو العالم وقيل الصالح من العلماء .
(٣) المعالم : جمع معلم وهو ما يستدل به على الطريق من أثر ونحوه . (٤) هوج : جمع هوجاء ، والريح الهوجاء التى لا تستوى فى هبوبها وتقلع البيوت . (٥) الضاحى : المكان البارز . يزجى : يسوق ، يستحث . (٦) الإماء : الجوارى .

وحَسِيرةٍ عنها الثياب وبضَّـةٍ * فى النّاعمات تجرّ فضل إزارِ (١)
وضَحُوكِ سِنّ تملأ الدنيا سنًى * وغريقةٍ فى دمعها المدرار
ووحيدةٍ بالنَّجد تشكو وحشة * وكثيرةِ الأتراب بالأغوار (٢)

* * *

ولقد تمرّ على الغدير تخاله * والنّبتَ مرآةً زهت بإطار (٣)
حُلْوُ التَّسَلْسُلِ موجُه وخريرُه * كأناملٍ مرَّتْ على أوتار
مدّتْ سواعدَ مائه وتألّقتْ * فيها الجواهرُ من حصى وجمار (٤)
ينساب فى مُخْضَلّة مُبْتَلّةٍ * منسوجة من سُنْدُسٍ ونُضار (٥)
زهراءَ عونَ العاشقين على الهوى * مختارةَ الشعراء فى آذار
قام الجليدُ بها وسال كأنّه * دمعُ الصّبابة بلَّ غصنَ عِذار
وترى السماءَ ضحًى وفى جُنح الدجى * منشقّةً عن أنهرٍ وبحار (٦)
فى كلّ ناحيةٍ سلكتَ ومذهبٍ * جبلانِ من صخرٍ وماءٍ جاري

وقال فى وصف الطيارة، وهذا من أبرع الكلام :

نصفُه طيرٌ ونصفٌ بشرٌ * يا لها إحدى أعاجيب القضاءْ!
حَمَلَ الفولاذُ ريشًا وجرى * فى عنانين له : نارٍ وماءْ
وجناحٍ غير ذى قادمةٍ * كجناح النّحل مصقولٍ سواءْ

(١) الإزار : الملحفة وكل ماستر . (٢) النجد : ما ارتفع من الأرض . الغور : القعر من كل شىء . (٣) إطار الشىء : كل ما أحاط به . والمعنى أن الغدير بما استدار على حافته من الزهر كأنه مرآة لها إطار . (٤) جمار : جمع جمرة وهى الحصى . (٥) أخضل الشىء : صار نديا بليلا . نضار : الذهب . (٦) الدجى : الظلمة أو سواد الليل .

وَذُنابَى ، كُلُّ رِيحٍ مَسَّهَا * مَسَّهُ صَاعِقَةٌ من كَهْرَباءْ
يَتَرَاءَى كَوْكَبًا ذَا ذَنَبٍ * فَإِذَا جَدَّ فَسَهْمًا ذَا مَضَاءْ
فَإِذَا جَازَ الثُّرَيَّا لِلثَّرَى * جَرَّ كَالطَّاوُوسِ ذَيْلَ الْخُيَلاءْ

ومن قصيدة له دعاها : (الأندلس الجديدة) :

يا أُخْتَ أَنْدَلُسٍ عَلَيكِ سَلَامُ (١) * هَوَتِ الخلافَةُ عَنْكِ وَالإِسْلَامُ
نَزَلَ الهِلَالُ عَنِ السَّماءِ فَلَيْتَهَا * طُوِيَتْ وَعَمَّ العَالَمِينَ ظَلَامُ
أَزْرَى بِهِ وأزاله عن أوجه (٢) * قَدَرٌ يَحُطُّ الْبَدْرَ وَهْوَ تَمَامُ
جُرْحَانِ تَمضى الأُمَّتَانِ عَليهما (٣) : * هذا يَسِيل وَذَاكَ لا يَلْتَامُ
بِكُمَا أُصِيبَ المسلمونَ وَفِيكُمَا * دُفِنَ اليراعُ وَغُيِّبَ الصَّمصامُ (٤)
لم يُطْوَ مَأْتَمُهَا (٥) ، وهذا مأتم * لبِسُوا السوادَ عليكِ فيه وقامُوا
ما بين مَصْرَعِهَا ومصرعكِ انْقَضَتْ * فيما نُحِبُّ ونَكْرَهُ الأيامُ
خلتِ القُرُونُ (٦) كلَيْلَةٍ وتَصَرَّمَتْ * دُوَلُ الْفُتُوحِ كَأَنَّهَا أحلامُ
وَالدَّهْرُ لا يَأْلُو (٧) المَمَالِكَ مُنْذِرًا * فَإِذَا غَفَلْنَ فَمَا عَلَيهِ مَلَامُ

(١) يا أخت أندلس : يخاطب مدينة أدرنة وقد كانت من أمهات المدن العثمانية فى مقدونية وبها مقابر كثيرين من سلاطين آل عثمان ، جاءت الأنباء بغلبة البلغار عليها فى الحرب سنة ١٩١٢ بعد أن أبلت حاميتها فى الدفاع عنها بلاء حسنا .

(٢) أزرى به : وضع من شأنه . الأوج : العلو .

(٣) جرحان : أحدهما خروج أدرنة من أيدى المسلمين ، والثانى خروج الأندلس من أيديهم . الأمتان : هما العرب أيام نكبة الأندلس ، والترك أيام ضياع أدرنة .

(٤) اليراع : يريد القلم ، والصمصام السيف .

(٥) لم يطو مأتمها : أى مأتم الأندلس .

(٦) خلت : مضت . تصرمت : انقضت .

(٧) لا يألو : لا يقصر ولا يبطئ .

٭
٭ ٭

مقدونيـا ، والمسلمونَ عشيرةٌ ، ٭ كَيفَ الخؤولةُ فيـكِ والأعمـامُ! (١)

أتَرَيْنهـم هانوا ، وكان بعـزِّهِمْ ٭ وعُلوِّهِـمْ يَتَخايلُ الإسْـلامُ! (٢)

إذْ أَنتِ نَابُ اللّيْثِ ، كلُّ كَتيبةٍ ٭ طَلعت عليـكِ فَريسـةٌ وطعـامُ (٣)

ما زالتِ الأيامُ حـتى بُدّلَتْ ٭ وتغـيَّرَ الساقى ، وحالَ الجـامُ (٤)

أرأَيْتِ كيف أُديلَ من أُسْدِ الشَّرى ٭ وَشهدتِ كَيْفَ أُبيحتِ الآجامُ؟ (٥)

زَعمـوكِ همًّـا للخِـلافَةِ ناصِبًا ٭ وهلِ المَمالكُ رَاحَـةٌ ومَنَامُ؟ (٦)

وَيقولُ قَوْمٌ : كنتِ أَشأَمَ مَوْرِدٍ ٭ وأراكِ سَائغـةً عليـكِ زِحامُ

ويراكِ دَاءَ المُلْكِ ناسٌ جَهَالةٍ ٭ بالمُـلْكِ منهـم عـلةٌ وَسَـقام

لو آثروا الإصْلاحَ كنت لعرشهم ٭ رُكْنًا على هَـامِ النجـومِ يُقَـامُ (٧)

وهمُ يُقيِّـدُ بعضُهـم بعضًا به ٭ وقُيُـودُ هـذا العَـالَمِ الأوْهَـامُ

صُورُ العمى شتى ، وأقبَحُهَا إذَا ٭ نَظَرَتْ بغَـيرِ عُيونِهِنَّ الهـام

ولقد يُقامُ منَ السُّيوفِ ، وليْسَ من ٭ عثراتِ أخْلاقِ الشُّعوبِ قيـام

---

(١) مقدونيا : اسم الإقليم الذى تقع فيـه أدرنة . العشيرة : قبيـلة الرجل . الخؤولة : النسبة إلى الخال كالعمومة وهى النسبة الى العم . (٢) يتخايل : يتبختر . (٣) إذ أنت ناب الليث : أى مثل الليث فى أنه مخوف لا يمكن الوصول إليه . الكتيبة : الجيش وقيل القطعة منـه . والمعنى أن الاسلام كان يتخايل بعز أبنائه فى مقدونيا حينا كانت ممتنعة على العـدوّ كامتناع ناب الليث على من يريده وحينا كانت تفنى دونها جيوش الأعداء . (٤) حال : تحوّل من حال الى حال . الجام : إناء من فضة تسقى فيه الخمر . (٥) أديل منها : صارت مغلوبة بعد أن كانت غالبة . والشرى : مكان تكثر فيه الاسود . الآجام : جمع أجم وهوالشجر الملتف تألفه الأسود أيضا . (٦) الهم الناصب : المتعب . (٧) لو آثروا الاصلاح : أى لو اختاروه . الهام : جمع هامة ، وهى رأس كل شىء .

ومن روائع حكمه، وما جرى من شعره مجرى الأمثال، قوله :

وإنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ * فإنْ هُمُو ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

* * *

وَإِذَا أُصِيبَ القَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ * فأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتَمًا وَعَوِيلَا

* * *

وَمَا السِّلَاحُ لِقَوْمٍ كُلُّ عُدَّتِهِمْ * حَتَّى يَكُونُوا مِنَ الأَخْلَاقِ فِي أُهَبِ

* * *

عَلَى الأَخْلَاقِ خُطُّوا المُلْكَ وَابْنُوا * فَلَيْسَ وَرَاءَهَا لِلْعِزِّ رُكْنُ

* * *

وَلَيْسَ بِعَامِرٍ بُنْيَانُ قَوْمٍ * إِذَا أَخْلَاقُهُمْ كَانَتْ خَرَابَا

* * *

وَلَا الْمَصَائِبُ إذْ يُرْمَى الرِّجَالُ بِهَا * بِقَاتِلَاتٍ إذَا الأَخْلَاقُ لَمْ تُصَبِ

* * *

أَعَلِمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَّ من الذى * يَبْنِي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وعقُولَا ؟

* * *

وَلَيْسَ بِالفَاضِلِ فِي نَفْسِهِ * مَنْ يُنْكِرُ الفَضْلَ عَلَى رَبِّهِ

* * *

مَا أَصْعَبَ الفَضْلَ لِمَنْ رَامَهُ * وَأَسْهَلَ القَوْلَ عَلَى مَنْ أَرَادْ

* * *

رَبِّ إنْ شِئْتَ فَالْفَضَاءُ مَضِيقٌ * وَإذَا شِئْتَ فَالمضِيقُ فَضَاءُ

* * *

* وَاسْتَقِيمُوا يَفْتَحِ اللهُ لَكُمْ بَابًا فَبَابَا *

* * *

وَالْجَهْلُ مَوْتٌ فإنْ أُوتِيتَ مُعْجِزَةً * فَابْعَثْ منَ الْجَهْلِ أَوْفَابْعَثْ مِنَ الرَّجَمِ

* * *

صَــلَاحُ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجِعُــهُ * فَقَــوِّمِ النَّفْسَ بِالأَخْلَاقِ تَسْــتَقِمِ

وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فى خَيْرِ عَافِيَــةٍ * وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فى مَرْتَعٍ وَخِمِ

* * *

* الْمَوْتُ بِالزَّهْرِ مِثْلُ الْمَوْتِ بِالْفَحَمِ *

فِهرِسُ الكِتَاب

فهـــرس الكتاب

صفحة

صفحة

كَمُلَ طبع الجزء الأوّل من كتاب "المنتخب من أدب العــرب"
بمطبعة دار الكتب المصرية فى يوم الأربعاء ٥ رجب ســنة ١٣٥٧
(٣١ أغسطس سنة ١٩٣٨) م

محمد نديم

ملاحظ المطبعة بدار الكتب
المصـــرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٨/٦/١٧٠٠٠)



